كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

قَضَايا الدِّلالَة
في كِتابِ (المُلَمَّع)
للحُسين بنِ علي النَّمَرِيّ (٣٨٥هـ)
دراسةٌ تحليليَّةٌ

إعداد

د/ عصام فاروق إمام أحمد

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

جامعة الأزهر

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الأول)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

قضايا الدلالة في كتاب (المُلَمَّع) للحسين بن علي النَّمَرِيِّ (٣٨٥هـ) دراسة تحليلية

عصام فاروق إمام أحمد
قسم أصول اللغة بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان جامعة الأزهر- مصر
البريد الإلكتروني: dr.esamfa@Azhar.edu.eg

الملخص:
يقوم هذا البحثُ على دراسة قضايا الدلالة دراسةً تحليليةً في كتاب لغوي قديم؛ ينتمي إلى القرن الرابع الهجري، هو كتاب: (المُلمَّع) للحسين النمري (٣٨٥هـ)، وهو أول كتابٍ عربي مستقل يجمع ألفاظ الألوان، ويشرح العلاقات بينها، ويستشهد عليها من عيون الأدب العربي. ويحاول الباحث – بوجه عام- الكشف عن جانب من وعي علمائنا القدامى بقضايا الدلالة وأطرافِ من الأسس التي قامت عليها النظريات الدلالية الحديثة، ممثلاً في كتاب (المُلَمَّع)، مستبينًا اتجاهات صاحبه وآرائه في القضايا الدلالية، خصوصًا تلك التي وقع حولها اختلاف بين العلماء، كوقوع الترادف والاشتراك اللفظي.. إلخ. وتقوم الدراسة في هذا البحث على المنهج الوصفي القائم على آليات الوصف والتحليل. ويسعى الباحث من خلاله – بوجه خاص- إلى الوقوف على: طرق تفسير المعنى في الكتاب، ومبادئ التسمية التي اعتمدها المصنِّف، بيان مدى وعي النمري بالعلاقات الدلالية، وموقفه من كل منها. وكذا مدى وعيه بمظاهر التطور الدلالي، الجانب التطبيقي لبعض النظريات الدلالية الحديثة، ومدى وعي النمري ببعض مبادئها، وسبقه إلى معرفتها كشأن علمائنا القدامى.

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة- التحليل الدلالي- الملمع- النمري.

The semantic cases of "Al Molama'a" , by Hussein ben Ali Al Nameri (385 hijri) Analytical study

Essam Farouk Imam Ahmed
Faculty of language origins , Girls college of Al Azhar , 10th of Ramadan , Al Azhar University , Egypt .
E-mail : dr.esamfa@Azhar.edu.eg

Abstract :

This research is based on studying semantic cases of an ancient linguistic book , that returns to the hijri 4th century and is called "Al Molama'a" written by Hussein ben Ali Al Nameri (385 hijri). "Al Molama'a" is the first independent Arabic book that gathers colors terms , and explains the connection between them , it's also cited by other examples of the Arabic literature . The researcher is trying , generally, to reveal a specific side of our great ancient scholars through the semantic cases and some identified parts of the basics of the modern theories of denoting which are represented in "Al Molama'a" written by Al Nameri . The researcher also sought to shed a light on Al Nameri's principles and views of the semantic cases, especially the argumental ones , like synonymy and verbal subscription…etc. The study is based on the descriptive approach which is consists of the techniques of description and analysis . The researcher aims to studying the methods of explaining the meanings mentioned in the book, naming principles approved by the classifier, the extent of Al Nameri's awareness of the connotations' relations and his situation of each of it . He also studies Al Nameri's awareness of the semantic

development , the practical part of some modern semantic theories , his realization of its basics and precedence of apprehension of it , following the steps of our ancient scholars .

Keywords: **Semantics – semantic analysis – Al Molama'a – Al Nameri.**

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله رب العالمين، حمدًا لا يقف عند حدٍّ، ولا يُحصيه عدٌّ، حمدًا نسترضِي به ربنا لعله يرضى عنَّا، ويعفو عما اقترفته أيدينا مما هو أعلمُ به منَّا.

ونُصلي على خير الخلق، وحبيب الحق، سيدنا محمَّد – صلى الله عليه وسلم– صلاةً تُفتح لنا بها المغاليقُ، ونستعين بها على ما أخذناه على أنفسنا من العهود والمواثيق، وعلى آله، وأصحابه والتابعين، ومن تابعهم إلى يوم الدين.

وبعد،،

فتأتي هذه الدراسة الدلاليَّة؛ تلبيةً لأحد محاور الخُطَّة البحثيَّة الخمسيَّة الّتي اعتمدتها جامعةُ الأزهر الشريف للأعوام ما بين: (١٤٤٠هـ- ١٤٤٥/ ٢٠١٩-٢٠٢٤م)، ومن أنشطتها المقرَّرة فيما يَخصُّ أقسام أصول اللغة (الدراسة التحليليَّة لمسائل الدلالة في الكتب التراثيَّة).

وللدراسة التحليليَّة الدلاليَّة في الكتب التراثيَّة أهميتُها، الَّتي تَستَمِدُّ جزءًا منها من أهمية علم الدلالة نفسِه؛ من حيث كونه قمةَ الدراسات اللغويَّة، كما تَمتَحُ تلك الأهميةَ في جزءٍ آخرَ من أنها تكشف جانبًا من وعي علمائنا القدامى بقضايا الدلالةِ، وأطرافٍ من الأسس الّتي قامت عليها النظرياتُ الدلاليَّةُ الحديثةُ.

كما تُوقِفُنا مثلُ هذه الدراساتِ التحليليَّة على اتجاهاتِ صاحب الكتاب المَدرُوس، وآرائِه في القضايا الدلاليَّة، خصوصًا ما وقع حوله اختلافٌ بين العلماءِ قديمًا وحديثًا، كآرائهم المتعددة في وقوع الترادف، والمشترك اللفظي، والتضاد في اللغة العربية، على سبيل المثال.

وتزداد قيمة هذه الدراسات إذا كان الكتاب المَدرُوس ضاربًا في القِدَم، حيث نستقي مادتَه اللغويَّة من نبعها الصافي، ويكون للسبق في مثل هذه الكتبِ وضوحٌ وبروزٌ لا تُخطئه عينُ الباحث.

وإذا كان الأمرُ كذلك، فقد وقع اختياري في شأن الدراسة التحليليَّة على كتابٍ لغويٍّ، ينتمي إلى القرن الرابع الهجري، بما يمثله هذا القرنُ من عصرٍ لازدهار الدراسات اللغويَّة واستوائها على سوقها، بفضل الله أولًا، ثم بفضل الأفذاذ من علمائنا أمثال: أبي منصور الأزهري (٣٧٠هـ)، وأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ)، وأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، والجوهري (٣٩٣هـ)، وابن فارس (٣٩٥هـ)، وغيرهم.

وكتابنا المُختارُ هو: (المُلَمَّع) للحسين بن علي النَّمَرِيّ (٣٨٥هـ)، ولعل فرادةَ موضوع هذا المؤلَّف في ذلك العصر القديم، وأوليتَه في التراث العربي القديم؛ حيث يعدُّ أولَ كتاب عربيّ مستقل يجمع ألفاظ الألوان، ويشرح العلاقات بينها، ويستشهد عليها من عيون الأدب العربي- أقول لعل ذلك مما يزيد هذه الدراسة قيمةً، وأرجو من خلاله أن يكون اختيارُ إطارها التراثي مُوفَّقًا.

ولا أعلمُ دراسةً تناولتْ الجانبَ الدلاليَّ في هذا الكتاب، اللهم إلا بعض الإشارات الواردة في مقدمة محققة الكتاب، وما اشتملت عليه من دراسةٍ تقوم في معظمها على بيان منهجه العام، مع تركيزها على بعض القضايا اللغوية فيه بصورةٍ عامةٍ؛ ممَّا أتاح المجالَ أمامي لإخضاع مادة الكتاب إلى المعالجة التحليليّة، في ضوء مبادئ الدرس الدلالي الحديث.

ونَصيبُ المنهجِ الوصفيّ في هذه الدراسة كبيرٌ، فقد اعتمدتُه منهجًا لها، مستعينًا من خلاله بآليات الوصف والتحليل. وسعتْ الدراسةُ إلى الإجابة عن بعض الأسئلة المتمثلة فيما يلي:

- ما الطرقُ التي اعتمدها النَّمَرِيّ في تفسير المعنى في كتابه؟
- ما مبادئ التسمية أو علل التسمية التي اعتمد عليها؟
- ما مدى وعي النَّمَرِيّ بالعلاقات الدلالية، وموقفه من كل منها؟

- ما مدى وعيه بمظاهر التطور الدلالي؟
- ما مدى وعيه بمبادئ بعض النظريات الدلاليَّة الحديثة، وهل سبق – كشأن علمائنا القدامى– إلى بعضها؟

وبناءً على الإجابات التي تتطلبها تلك الأسئلةُ، فقد اقتضتْ الدراسةُ أن تُقَسَّم إلى مدخلٍ، وأربعةٍ مباحث، على النحو التالي:

المدخل (بين يدي البحث)، تناولت فيه أمرين: قدمتُ في أولهما نبذةً عن النَّمَرِيّ وكتابه، وقدمتُ في الثاني منهما قراءةً لعتبات الكتاب، ممثلةً في: عنوانه، ومقدمته، وعنوانات أبوابه.

المبحث الأول: طرق تفسير المعنى، وتعليل التسمية في (المُلَمَّع).

المبحث الثاني: العلاقات الدلالية في (المُلَمَّع).

المبحث الثالث: التطور الدلالي، والعموم والخصوص في (المُلَمَّع).

المبحث الرابع: النظريات الدلاليَّة الحديثة وتطبيقاتها في المُلَمَّع (الحقول والسياق أنموذجًا)

داعيًا المولى – عز وجل– أنْ أكونَ قد وُفِّقتُ في دراستي هذه إلى بيان القضايا الدلاليَّة في كتاب (المُلَمَّع)، وموقفِ مؤلِّفه منها، مُعتذرًا عن ما وقع فيه من نقصٍ أو سهو، مما تقتضيه طبيعة الأعمال البشرية، مُستأنسًا في ذلك بقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، وهو يعتذر إلى العماد الأصفهاني عن كلامٍ استدركه عليه: « إنه قد وقع لي شيءٌ، وما أدري أوقع لك أم لا؟ وها أنا أخبرك به، وذلك أني رأيتُ أنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومه، إلا قال في غَدِه: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ

هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر.)) [1]

والله من وراء القصد، وإليه المرجع والمصير.

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١٨/١) حاجي خليفة، عني بتصحيحه والتعليق عليه: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م، وينظر: أبجد العلوم (٧١/١) لصديق القنوجي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، ١٩٧٨م.

مدخل

(بين يدي البحث)

رأيتُ من الأجدى قبل البدء في دراسة القضايا الدلاليَّة في (المُلَمَّع) أنْ أضعَ بين يدي القارئ نُبذةً مختصرةً عن صاحب الكتابِ – موضعِ الدراسة– وكتابه، أردفُها بقراءةٍ تحليليَّةٍ سريعةٍ لما يمكن تسميته (عتبات الكتاب)، ممثلةً في عنوانه، ومقدمته، وعنوانات أبوابه.

أوَّلاً- عن النَّمَرِيّ ومُلَمَّعِه:

أما صاحبُ كتابِنا فهو: أبو عبد الله الحسين بن علي النَّمَرِيّ البصريّ، هذا ما ذكرتُه بعض كتب التراجم، وزاد صاحبُ (معجم المؤلفين) عبدَ اللهِ اسمًا لجده [١]، وذكره بروكلمان اسمًا لأبيه، وجعل جدَّه (علي)[٢].

في حين خلتْ كتبُ التراجم القديمة من ذِكْرِ هذا أو ذاك؛ مما يجعلني أقف أمام هذه الزيادة بشيءٍ من الريبة، خصوصًا أن صاحبيْ الكتابين من المعاصرين، وكذلك لِمَا وَرَدَ في أولِ الكتابِ مَا نَصُّه: (قَالَ الحُسَينُ بنُ عَلِي النَّمَرِيّ)، سواءً كان ذلك من قول النَّمَرِيّ نفسِه، أو من النساخ القريبين من عصره.

وما ذكرتُه من اسمه ونسبه – دون هذه الزيادات– هو ما استقرتْ عليه محققةُ (المُلَمَّع) وأكدتْ ذلك – أيضًا– بما وَرَدَ: « في الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب (المُلَمَّع).فقد ذكر أحدُ المعلقين على النسخة: ورأيت بخطِ عالي بن عثمان بن جني رحمه الله: أبو عبد الله الحسين بن علي النَّمَرِيّ. وعالي هذا

---

(١) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية (٦٢٦/١) عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ١٣٧٦هـ– ١٩٥٧م

(٢) Bro . s.1 . 275 نقلًا عن مقدمة تحقيق الملمع (و)، للنمري، تح. وجيهة أحمد السطل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م.

نحويٌّ معروفٌ، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ولا ريب في أن عالي بن جني قد سمع بالمؤلف النَّمَرِيّ، وعَرَف عنه الكثير، إن لم يكن قد عاصره معاصرةً شخصيةً.»[١] خصوصًا أن مما ذكرته التراجمُ أن عاليا قد أخذ عن أبيه أبي الفتح عثمان بن جني[٢]، والأخير من معاصري النَّمَرِيّ، وبين سَنَتَيْ وفاتيهما سبع سنوات فحسب.

والنَّمَرِيّ بفتح النون والميم أيضًا[٣] نسبةٌ إلى «النَّمِر بن قاسِط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد.»[٤] بحسب ما رجحتْ محققةُ (المُلَمَّع) أيضًا.

ولقلةِ الأخبار الواردة عن الرجل – نتيجة لعدم اشتهاره– بذلتْ محققةُ (المُلَمَّع) جهدًا كبيرًا في جمع أخبار الرجل، وإخضاعها للضبط والتحقيق، لذا فقد اعتمدتُ فيما أوردتُه من ترجمةٍ للرجل هنا، على كثيرٍ مما ذكرتْه المحققة، مع التثبت من ذلك في مصادره التي نقلت منها، إضافةً إلى ما توصلتْ إليه من استنتاجات قيِّمة.

---

(١) مقدمة تحقيق الملمع (ز) .

(٢) ينظر: تاريخ مدينة دمشق (٦٣/١٥) لابن عساكر الدمشقي، تح. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط أولى، ٢٠١٢م.

(٣) من القواعد المقررة في النسب: إذا نسبتَ إلى اسم ثلاثي مكسور العين، فُتِحتْ عينُه في النسب، فتقول في النسب إلى (نَمِر: نَمَري)، و(مَلِك: مَلَكي). ينظر: شذا العرف في فن الصرف (١٨٢) للحملاوي، قدم له وعلق عليه: د. محمد بن عبد المعطي، دار الكيان– الرياض، د.ت.

(٤) اللباب في تهذيب الأنساب (٣٢٦/٣) لابن الأثير، مكتبة المثنى– بغداد، دون بيان للطبعة أو تاريخها.

وعلى الرغم من قلة أخبار الرجل، إلا أنَّ أبا منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) أورد أنه ((كان من صدور البصرة في الأدب والشعر، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير، والعلم القوي القويم، والنظم الظريف المليح))[١] ولعل كتابَه (المُلَمَّع) – موضوعَ هذا البحث– خيرُ دليلٍ على صدق وصف الثعالبي للرجل، فقد أكْثَرَ من الاستشهادات، للدرجة التي لم تخلُ فيها صفحةٌ من صفحات الكتاب من استشهادٍ له، حَرِصَ على نسبةِ كثير منها إلى قائليها.

ونعلم من كلام الثعالبي – وغيره– أنَّ نشأة الرجل وحياته كانت في البصرة؛ ولذا لُقِّبَ بالبصريّ بعد النَّمَرِيّ، وقد ذكروا صلته القوية بـابن العميد، فمما أورد القفطي: ((قال أبو محمد بن حسان: حدثني أبو عبد الله الحسين بن علي النَّمَرِيّ البصري: قال قصدت ذا الكفايتين أبا الفتح بن العميد إلى الري بعد أن ألح في استدعائي، وأنفذ مَن حملني. فاتفق في بعض الأيام أن جاء مطرٌ ضعيفٌ، إلا أن الريح كان ينفضه إلينا، فانتقلنا من مكانٍ إلى مكانٍ، فقلتُ: [من الرجز]

يابنَ العَميدِ اشربْ عَلَى أخِيكَا
فِيمَا تراه وأخي أبِيكَا

فقال: اسكت أيها الشيخ. ثم قال:

* أتاكَ يَحكيكَ كَمَا يُحْيِيكا *

فقلت: أيها الأستاذ، من خاطري أخذتَه. والذي يدل على ذلك البيتُ الذي بعده.

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر(٤٢١/٢) لأبي منصور الثعالبي، تح. د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية– بيروت، ط أولى، ١٤٠٣ه– ١٩٨٣م.

فقال لي: الشيخ – أيده الله- لا يُدافَع في هذا ولا ينازع، وهو:

أتـــاك يَحكيكَ كَمَا يُحييكـــا

لأَنَّنِي صَادفتُه رَكِيكَا .))[١]

وقد ذكر الثعالبي في صدر ترجمته أنه ((صاحب أبي رياش وابن لنكك.))[٢] والمطالع لكتاب (المُلَمَّع) يجد آثارًا عديدةً، أوردها عن أبي رياش، مما يبدو معه أنه كان من أهم شيوخه، فقد كان يعتز بآرائه، فينقلها، بل ويتبعه فيها.

وكذلك أورد ياقوت الحموي أنه ((قرأ على أبي عبد الله الأزدي.))[٣]؛ مما يجعل الأزدي هذا – أيضًا- من شيوخه، لكنْ باعتراف النَّمَرِيّ نفسه، فقد كان بينهما خصامٌ أو ملاحاةٌ، يقول ابن الأنباري: ((ويروى عن أبي عبد الله النَّمَرِيّ يرثي أبا عبد الله الأزدي، وكانت بينهما ملاحاة في عهد الحياة:

[من الوافر]

مَضَى الأَزدِيُّ والنَّمَرِيّ يَمضِي ... وبَعضُ الكُلِّ مَقرُونٌ بِبَعضِ

أخِي والمُجْتَنَى ثَمَراتُ وُدِّي ... وإن لم يَجزِنِي فرضي وقرضي

وكانتْ بيننا أبدًا هَناتٌ ... تَوَفَّر عِرضُه فِيها وعِرضِي

وَمَا هانتْ رِجالُ الأَزْدِ عَنِّي ... وإنْ لم تَدنُ أرضُهم من أرضي.))[٤]

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣٥٨/١، ٣٥٩) للقفطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة/ مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط أولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٢) يتيمة الدهر (٤٢١/٢)

(٣) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (١٠٩٢/٣) لياقوت الحموي، تح. د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط أولى ١٩٩٣م.

(٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء (٢٤١) لأبي البركات ابن الأنباري، تح. د.إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، ط ثالثة، ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م.

ومن جميل شعره(١):

إِذَا مَرِضْنَا نَوَيْنَا كُلَّ صَالِحَةٍ وإِنْ شُفِينَا فَمِنَّا الزَّيْغُ والزَّلَلُ

نُرضِي الإِلَهَ إِذَا خِفنَا ونُسخِطُه إِذَا أَمِنَّا فَلا يَزكُو لنا عَمَلُ

وذكر ياقوت من أوصافه الخِلْقِيَّة ((قيل: وكان أخفش العين، سيئ المنظر.))(٢)، إلا أنه لم يكن يأبه لذلك، فروايته عن مقابلة ابن العميد واستدعائه إياه وإلحاحه في ذلك، تدل على مدى اعتزازه بنفسه، ولعل منشأ ذلك ما أوتي من نِعَمٍ عديدةٍ، منها: لسان بليغ، وحافظة قوية، وعلم غزير، وغيرها مما أوردتْه بعضُ التراجم عنه.

ويبدو أن كتاب (المُلَمَّع) لم يكن مصنَّفه الوحيد- إلا أنه ما وصل إلينا منها- فقد أورد صاحبُ الفهرست – على سبيل المثال- أنَّ ((له من الكتب: كتاب اللمع [المُلَمَّع] في الألوان، وكتاب معاني الحماسة، وكتاب الحلي.))(٣)

وقد لبى النَّمَرِيّ نداء ربه في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.(٤)

وأما كتاب (المُلَمَّع) فيعد من أوائل الرسائل اللغويَّة التي تخصصتْ في دراسة الألوان، بعد تناثُر الحديث عنها في أبواب الكتب وفصولها، يقول د. عبد الكريم خليفة: ((ونحن إذا تركنا القرنين الثاني والثالث الهجريين جانبًا إلى القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري، نجد أن موضوع الألوان في العربية قد ازداد أهمية، واتصفتْ الدراسات حوله بالاتساع والعمق من ناحية، وتطور منهج البحث فيه من ناحية أخرى كي يصبح نواة لمعجم لغوي خاص بالألوان. وهذا ما

(١) ينظر: معجم الأدباء (١٠٩٣/٣)

(٢) السابق الصفحة نفسها.

(٣) الفهرست (٨٨) للنديم، تح. رضا- تجدد، طبعة خاصة.

(٤) ينظر: معجم الأدباء (١٠٩٢/٣)

نراه بوضوح متمثلاً بكتاب: (المُلَمَّع) صنعة أبي عبدالله الحسين بن علي النَّمَرِيّ، المتوفى سنة 385هـ. فقد حرص المؤلِّف على تحديد معاني الألوان من خلال نصوصٍ وشواهدَ شعريةٍ اختار أكثرها من أشعار الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام.))[١]

وعلى الرغم مما يتمتع به التصنيفُ العربي القديم من تنوع وثراء، إلا أنه ((لم تستأثر باهتمام أحدهم هذه الفكرة الطريفة، وهي أن يجمع مسميات الألوان، كلًا على حدة، ويستهلها بالحديث عن صفات كل لون ومؤكداته.))[٢] وهو ما يجعل لهذه الرسالة اللغويَّة قيمةً كبيرةً في مجالها، ومكانتها في تراثنا العربي.

ثانياً- قراءةٌ في عتبات الكتاب:

إنَّ لكل كتابٍ عتبات، تمهد القارئ للدخول إلى مادته العلميَّة، والاطلاع على ما أراد المؤلِّف إيصاله إليه. وتكشف هذه العتباتُ جانبًا من جوانب طبيعة الكتاب ومجاله، وبعضًا من مقاصد تصنيفه، وشيئًا من عبقرية التأليف عند صاحبه.

وأرى أنَّ (عتبات الكتب) تنتظم في ثلاثٍ: العتبة الأولى تتمثل في عنوان الكتاب، بما أنه اللافتة الأولى التي يصادفها القارئ عند اطلاعه عليه، والعتبة الثانية هي المقدمة التي يوضِّح فيها المؤلِّفُ أمورًا، منها: هدف التأليف وبعض من منهجه، والعتبة الثالثة عناوين الأبواب التي ارتضاها المؤلف قسمةً لكتابه، ويدل كل عنوان منها على مضمون المحتوى العلمي المندرج تحت سطور الباب. وإليك حديثًا عن هذه العتبات الثلاث في (المُلَمَّع).

---

(١) الألوان في معجم العربية (١٥)، د. عبد الكريم خليفة، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالأردن، العدد (٣٣) سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

(٢) مقدمة تحقيق الملمع (أ)

العتبة الأولى (عنوان الكتاب):

من اللافت في عنونة هذا الكتاب أن النَّمَرِيّ لم يضعْ له عنوانًا يتضمن كلمةَ (الألوان) – أو إحدى مشتقاتها– وهي الكلمة الرئيسة في الحقل الدلالي الذي جعله إطارًا لمؤلَّفه، مع أنَّ هذه الكلمة استعملها من قبله كثيرٌ من اللغويين عنوانًا لبعض الأبواب داخل كتبهم، على نحو ما نجده عند أبي عبيد (٢٢٤هـ) في (الغريب المصنف) من خلال تسميته: (باب الألوان واختلافها)، أو عند ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في: (أدب الكاتب) من خلال تسميته: (باب ألوان الخيل)، وغيرهما.

لكنه اختار كلمة (المُلَمَّع)، وهذه الكلمة على غرابتها إلا أنَّ لها علاقة بالألوان أيضًا، فقد أورد ابن سيده أنَّ «كل متلون بألوان مختلفة مُلَمَّع»[١] وكأنَّ النَّمَرِيّ يقصد إلى أنه سيتناول في كتابه ألوانًا متعددةً مختلفةً، ولعل هذا هو السر وراء عدم ذكر كلمة (المُلَمَّع) داخل كتابه، فهي واجهةٌ دالة على هذه الألوان المتناولَة داخل الكتب جميعِها.

ولعل هذا الاجتهادَ قريبٌ جدًّا من اجتهاد مُحقِّقة الكتاب في بيان سر هذه التسمية، حيث تقول:« ولعل تسمية المؤلف لكتابه بالمُلَمَّع– على غرابتها– تحمل الكثير من الشحنة اللونية. فالتلميع لغة أن يكون في الخيل بقع تخالف سائر لونه. وكأن المؤلف قصد إلى تنوع الألوان في كتابه، واستقلال كل لونٍ منها بذاته استقلالًا يجعله مخالفًا للألوان الأخرى في نوعه، ومتوافقًا معها في تكوين لوحة لونية متجانسة.» [٢]

---

(١) المخصص (١٣٢/٢) لابن سيده، قدم له: د. خليل جفال، دار إحياء التراث العربي– مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

(٢) مقدمة محققة الملمع (أ)

ولعل مثل هذه الاجتهادات مقبولة في ضوء عدم تعليل النَّمَرِيّ نفسِه لاختيار هذه التسمية.

العتبة الثانية (مقدمة الكتاب):

إنَّ مقدمة أي كتابٍ هي عبارةٌ عن: ((مقال يقدِّم به المؤلِّف أهم المبادئ والمناهج التي سيقوم عليها مؤلَّفه في ما بعد.)) [١]

وتتضح أهمية المقدمة من حيث إن المؤلِّف يضمِّنها غالبًا تلك المعلومات التي لم يستطع توضيحها من خلال عنوانه؛ نظرًا لطبيعة العناوين من الاختصار والإيجاز، وبهذا تعد المقدمة بالنسبة للعنوان مدخلًا أوسع لفهم مضامين الكتاب، ومقاصد تأليفه، وغيرها من العناصر.

وبالنسبة لمقدمة (المُلَمَّع) فإنَّها بعد الحمد والثناء على الله – تعالى– اشتملتْ على العناصر التالية:

١. طبيعة كتابه، فلا هو بالطويل ولا القصير، وإنَّما هو واسطةٌ بينهما، فمما ورد في مقدمته: ((والكتاب إذا طَالَ أملَّ، وإذا قَصُرَ أخلَّ، فجعلناه بين ذينك، مع استكمال الإفادة، واستغراق الإرادة، ولم نتجاوز غاية علمنا، ونهاية فهمنا..)) [٢] مشيرًا أيضًا إلى أنه ذَكَرَ في كتابه ما أحاط به علمه، وعرفه حق المعرفة.

٢. ذكر الألوان الخمسة التي خلقها اللهُ – عزوجل– والتي ستكون مدار كلامه في كتابه، وعليها سيبني تقسيمه، وخَصَّ منها أربعةً ببني آدم: البياض والسواد والحمرة والصفرة، وبيَّن حظ الأمم من هذه الألوان: ((فأُعطى

(١) عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي (١٧٣)، د. كمال نبهان، ط : مجلة الوعي الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(٢) الملمع (١)

العرب والحبشة والزنج وشكلهم عامة السواد.. على أنَّ العرب تدعي البياض، وتمدح به نساءَها ورجالها.. وتدعي الحمرة أيضًا.. وتدعي الصفرة لنسائها.. وأعطى الفرس والروم والنبط وشكلهم عامةَ البياض، والحمرة، والصفرة..)) [١]

واستشهد على هذا كله بأبياتٍ من عيون الشعر العربي، تثبت هذه المعاني، وتدلل على ما يقوله.

٣. بيَّن علاقة هذه الألوان الخمسة بغيرها من الألوان الأخرى المعروفة، كالغبرة، والسمرة، والزرقة، فسمى الألوانَ الخمسةَ النواصعَ الخوالصَ، وغيرهم مردود إليهم ((فإنْ قال قائلٌ: فأين الغبرة، والسمرة، والزرقة، والصحمة، والشقرة وأشكالهن من الألوان؟ قيل: هذه الألوان ليستْ نواصع خوالص. وكلٌّ يُرد إلى نوعه، فالغبرة إلى البياض، والسمرة إلى السواد، والزرقة إلى الخضرة، والصحمة إلى الصفرة، والشقرة إلى الحمرة.))[٢]

٤. وضَّح أنَّ هناك من الألفاظ ما يدل على هذه الألوان الخمسة ويؤكدها، فيما يعرف بـ(مؤكدات الألوان)، فيقول: ((.. والعربُ عمدتْ إلى نواصع الألوان فأكَّدتْها، فقالتْ: أبيض يَقَق، وأسود حَالِك، وأحمر قَانِئ، وأصفر فَاقِع، وأخضر نَاضِر)) [٣]

٥. ويختم مقدمته، بقوله: ((ونحن نبتدئ بنوعٍ نوعٍ، فنذكر ما سمعنا فيه إن شاء الله.))[٤] يقصد الألوان الخمسة السابق الإشارة إليها، مُمهدًا القارئَ لتقسميات

(١) الملمع (١ وما بعدها)
(٢) السابق (٨)
(٣) السابق الصفحة نفسها.
(٤) السابق الصفحة نفسها.

كتابه، مؤكِّدًا اقتصارَه- فيما سَيَذكُر- على السَّماع؛ ولذا تجد كتابَه يعج بالمرويات عن الأعراب والعلماء، مالِئًا إياه بالكثير من الشواهد شعريةً كانت أو غيرها.

العتبة الثالثة (عناوين الأبواب):

وفَّى النَّمَرِيّ – هنا- بما وعد في مقدمة كتابه، فقد تناول كلَّ نوعٍ من الأنواع الخمسة الدالةِ على الألوان، مُسمِّيًا كلَّ عنوانٍ منها كما يلي:

- ذكر البياض.
- ذكر السواد.
- باب الحمرة.
- باب الصفرة.
- باب الخضرة.

ونلاحظ أن تسمية ما يخص البياض والسواد مختلفةٌ عن تسمية ما يخص الألوان الثلاثة التالية، وهو ما يدعونا إلى التساؤل: لماذا خالف تسمية هذه الأبواب عن سابقيها؟

وبفحص مادة البابين الأولين: (البياض والسواد) توصلتُ إلى ما يمكن اعتباره إجابةً مقنعةً عن هذا السؤال؛ ففي الجزء المخصَّص للبياض، بعد أنْ ذَكَرَ الألفاظ الدالة على هذا اللون، أورد سبعة عشر بابًا فرعيًّا، تخُصُّ البياض عند: الرجال- النساء- الكتيبة.. إلخ

وفي الجزء المخصَّص للسواد، بعد أن ذكر ألفاظه أورد أحد عشر بابًا فرعيًّا، تخُصُّ السواد عند: الرجال والنساء- الكتيبة... إلخ

ويمكن القول إنّ كِبَر هذين الحقلين واندراج أبواب فرعية تحتهما، هو ما دعا النَّمَرِيّ إلى إطلاق (ذكر كذا) على كلٍّ منهما، فهو يتحدث عن حقلٍ كبيرٍ، لا عن بابٍ صغيرٍ، كالأبواب المندرجة تحت كلٍّ منهما.

وفي نهاية الكتاب أورد بابيْ الصفرة والخضرة؛ ولصغرهما جعل كلًا منهما بابًا قائمًا بذاته، لمساواته الأبواب الفرعية داخل حقليْ: البياض والسواد، من حيث المساحة التي يشغلها في الكتاب.

لكن عنونته (باب الحمرة) المتوسط بين هذه الأربعة أوقعتني في الحيرة مرةً أخرى، فقد سمَّاه (باب الحمرة) وبعد ذكر أسمائها ضمَّنه سبعةَ أبوابٍ فرعيَّةٍ، لكني لاحظت أنَّه ختم هذا الباب بقوله: ((تم ذكر الحمرة)) [١]

فهل كان ذلك من فعل النساخ، أم أن الرجل أراد لهذا الباب أن يكون واسطة العقد، فيسميه كالبابين التاليين، ويختمه بما يناسب تسمية البابين الأولين؟ لا أستبعد كلا الاحتمالين.

(١) الملمع (٩٦)

المبحث الأول

طرق تفسير المعنى وتعليل التسمية في (المُلَمَّع)

يُعدُّ (المُلَمَّع) للنَّمَرِيّ من المعاجم الخاصة أو الرسائل اللغوية، التي تجمع ألفاظ حقل دلاليّ واحدٍ، مقرونةً بتوضيحها، وبيان حدودها، والاستشهاد عليها، ومن ثم فلابد أن يعتمد صاحبُ هذا النوع من المصنَّفات – في بيان معاني كلمات ذلك الحقل الدلاليّ، وما اندرج تحتها من كلمات– على طرق لتفسير المعنى، كما يعمد في بعض الأحيان إلى تعليل التسميات؛ ليربط بذلك بين الألفاظ ومعانيها. وسأحاول تبيان مدى خلود النَّمَرِيّ إلى هذين الأمرين في (المُلَمَّع) من خلال السطور التالية:

أوَّلًا- طرق تفسير المعنى:

من المعروف أن علماءَنا القدامى اعتمدوا على الكثير من الطرق التي تفسِّر المعاني وتوضحها، فاعتمدوا على التفسير بالكلمة المقارِبة، والمضادة، والنظير، والعبارة، والمكونات الدلالية، والتعريف، وغيرها.

وبفحص هذه الطرق في (المُلَمَّع) نجد اعتماد صاحبه في تفسير المعانى – سواء أكان كلمةً أم تركيبًا– على عدة طرق تفسيريَّة، منها:

١. التفسير بالكلمة المقاربة:

يُطلِق بعض العلماء على هذه الطريقة وما بعدها – أي: التفسير بأكثر من

كلمة – مصطلحَ (التفسير بالترجمة)[١] وأطلق عليها بعضُهم (الشرح بذكر المرادف)[٢] وغيرها من المصطلحات.

وإن كنتُ أرى أنّ تسمية: (التفسير بالكلمة المقاربة) أدق؛ لأن إطلاق الترجمة قد يختلط بغيره من المفاهيم، خصوصًا وَضْعَ كلمةٍ في لغةٍ مقابلَ كلمةٍ من لغةٍ أخرى؛ وكذلك لأن إثبات الترادف بين الألفاظ ليس ثابتًا بين كل كلمتين تقاربتا في المعنى، وإنما له قيود وحدود، لا تنطبق كثيرًا على مثل هذه الكلمات التي يراد تفسيرها. ولعل قول النَّمَرِيّ «الرَّند: الآس أو مثله» [٣] يصب في هذا الاتجاه، حيث إن الرجل لا يرى أن كلمة (الآس) مرادفةٌ لـ(الرَّند)، مع الاعتماد عليها في تفسير المعني، ولذا يضيف قيدًا مهمًّا في التفسير، بقوله: (أو مثله)، مما ينتفي معه القول بترادفهما، ففائدة ذكر الكلمة الشارحة التفسيرَ لا إثبات الترادف بين الكلمتين (الشارحة والمشروحة).

ومن المواضع التي اعتمد فيها النَّمَرِيّ على هذه الطريقةِ، ما يلي: قوله: «كَالفَرَد اللَّيَاح: يعني الثور الأبيض.» فقد فسر كلمة الفرد بالثور، وكلمة اللياح بالأبيض، وقوله: «إيابُ الشمسِ: غُيوبُها»، وقوله: «والجَونُ أيضًا: الأسودُ»، وقوله: «الأشلَّة: الدروعُ، واحدها: شَلِيل»، وقوله: «الجَهَارَة: الحُسنُ»، وقوله: «الرَّوافدُ: الأقداحُ، واحدها: رِفد.»، وقوله: «الحَفَأ: البَرْدي»، وقوله: «المُتغضِّف: المُلتوي»، وقوله: «ويقال: الأيْنُ– هاهنا– الإِعياءُ»، وقوله: «الصَّهبَاءُ:

---

(١) ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث (١٠٢) د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م

(٢) ينظر: المعجم والدلالة نظرة في طرق شرح المعنى (١٦١)، د. أحمد مختار عمر، بحث منشور بمجلة المعجمية– تونس، العدد ١٢، ١٣ سنة ١٩٩٧م.

(٣) الملمع (٧٣)

البَيضَاءُ))، وقوله: ((والنَّشَاصُ: السَّحَاب))، وقوله: ((استحلس: نَبَت))، وقوله: ((المَشقُ: المَغْرَة))، قوله: ((العَنِيَّة: القَطِرانُ))، وقوله: ((جَمِيس: جَامِد))، وقوله: ((الجَادِي: الزَّعْفَران)) (١)

ومما يمكن ذكره من ملاحظات على هذه الطريقة وأمثلتها ما يلي:

- لم يقتصر استعمال النَّمَرِيّ لهذه الطريقة على تفسير معاني الألفاظ الدالة على الألوان فقط- بما أنها مادته العلمية التي بنى عليها كتابه- كما يتضح من بعض الأمثلة السابقة، وإنما استعملها – أيضًا- في تفسير معاني الكلمات غير الواضحة في الأبيات الشعرية المستَشهد بها.

ولعل هدفه من وراء ذلك إيصال معنى البيت الشعري كله للقارئ؛ بما يساعد القارئ للوصول إلى فهمٍ أوضح لموضع الاستشهاد، وغرضه.

- على الرغم مما ذكره العلماء من سلبياتٍ لطريقة شرح الكلمة بمقاربتها، من حيث توظيفها لـ((خدمة غرض الفهم وحده، ولا تصلح لغرض الاستعمال. وأنها تعزل الكلمة عن سياقها، وتقدمه جثة هامدة لا روح فيها ولا حياة. وأنها تقوم أساسًا على فكرة وجود ظاهرة الترادف، وإمكانية إحلال كلمة محل أخرى دون فارق في المعنى، وهو أمر مشكوك فيه..)) (٢)

أقول على الرغم من ذلك إلا أنّ هذه الطريقة مناسبةٌ لكتاب بحجم (المُلَمَّع) وهدفه، فقد أراد الرجلُ أن يُصنِّف كتابًا مختصرًا، يعتمد فيه على الإيضاح والتركيز في طرح نوعٍ محددٍ من ألفاظ اللغة يتعلق بالألوان.

---

(١) الملمع على الترتيب نفسه: (١٠)، (٢٩)، (٣٠)، (٣٥)، (٤٢)، (٤٦)، (٤٧)، (٤٧)، (٤٨)، (٥٠)، (٥١)، (٦٦)، (٧١)، (٧٢)، (٨٥)، (٩٧).

(٢) المعجم والدلالة نظرة في طرق شرح المعنى (١٦٢)

- يبدو أن الإيجاز بالاعتماد على كلمةٍ واحدةٍ مقاربةٍ كان متعمدًا من قبل النَّمَرِيّ؛ لأنه وبمطالعتي تفسير هذه الكلمات في بعض المعاجم العربية القديمة، وجدتُ أن فيها تفصيلًا لم يحرص عليه النَّمَرِيّ؛ مراعاةً لطبيعة الكتاب، فلم يُردْه معجمًا لغويًّا للألفاظ بالمفهوم المتعارف عليه في الصناعة المعجميَّة، وإنما أراده رسالةً لغويَّةً مختصَّةً بنوعٍ معينٍ من الألفاظ.

ومن أمثلة هذه المطالعة، قولُ صاحب العين في كلمة (استحلس) «.. وعشب مستحلس: ترى له طرائق بعضها فوق بعض؛ لتراكمه وسواده»[١] في حين اكتفى النَّمَرِيّ بكلمة: نَبَتَ، وقوله في الحفأ: «البَردِيُّ الأخضر ما كان في منبته كثيرًا دائمًا.»[٢]، وزاده الجوهري إيضاحًا بقوله: «الحفأ: أصل البردي الأبيض الرطب، وهو يؤكل.»[٣] في حين اكتفي النَّمَرِيّ بتفسره بكلمة (البردي).

٢. التفسير بأكثر من كلمة:

قد لا يقنع النَّمَرِيّ في تفسير معنى كلمةٍ بكلمةٍ واحدةٍ مقاربةٍ لها في الدلالة، من حيث عدم تأديتها الغرض التفسيري الذي سيقتْ من أجله بدقةٍ، فيعمد الرجلُ إلى كلمتين شارحتين أو أكثر، ليقدم من خلاهما أو خلالها شرحًا مبسَّطًا، لعله يصل إلى القارئ ما أراده من معنى، دون الركون إلى ذكر المكونات الدلاليَّة للمعنى؛ العامة منها والفارقة، وهو مجال اعتماد الطريقة التالية من التفسير.

ومن المواضع التي اعتمد فيها النَّمَرِيّ على التفسير بأكثر من كلمةٍ، قوله: «العَرارَة: نَبَاتٌ طَيِّبٌ»، وقوله: «وَنَصَعَ الثَّغْر: إذا خَلَصَ بياضُه.»، وقوله: «التِّرْعيَّة: البصير بالرَّعيَّةِ»، وقوله: «شَدقم وجَديل: فحلان كريمان»، وقوله: «ويقال: العِينُ: الكبار الأعْين»، وقوله: «الأقْمَرُ: لَونٌ يشبهُ الرَّمَاد»، وقوله:

(١) العين (ح. ل. س) [١٤٢/٣] للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

(٢) السابق (ح. ف. ا)

(٣) الصحاح (ح. ف. أ)

((قَهْدٌ: المغبرُّ من الغنم)) ، وقوله: ((الجُوْءة: لونُ صدأ الحديدِ))، وقوله: ((ويقال: الحِرَار هاهنا: الإبلُ العَطْشى))، وقوله: ((الدَّوْمُ: شَجَرُ المُقْلِ)) [١]

وكما هو واضحٌ من الأمثلة فإنها متنوعةٌ بين ما يختص بالألوان - التي هي إطار (المُلَمَّع)- وما جاء شرحًا لكلمات وردتْ في استشهاداته الشعرية وغيرها، رآها المؤلفُ في حاجة إلى تفسيرٍ وإيضاحٍ لا يكفي فيه كلمةٌ واحدةٌ قريبةُ المعنى من الكلمة المشروحة، فـ(العَرارَة) في المثال السابق لو فُسِّرتْ بكلمة (نبات)- على سبيل المثال- دون (طيب) ما كان سيُغني ذلك في بيان المعنى المراد، فالكلمة واردة في بيت للأعشى يقول فيه:

[مجزوء الكامل]

بَيضَاءُ ضَحوتُها وَصَفـ ـراءُ العَشِيَّةِ كالعَرَارَة

فقد ذكر للموصوفة في هذا البيت وصفين لهما اختصاص باللون، كونها ناصعة البياض في وقت الضحى، وفي العشي هي صفراء كنبت العرارة.

وتفسيره (العَرارَة) بالنبات ما كان سيوضح المعنى الذي أراده الشاعر، فصفرة النبات الذابل- على سبيل المثال- غير محببة إلى النفس؛ ولذا كان من الضروري وهو يتحدث عن الصفرة في المرأة أن يقدِّم بين يدي البيت بقوله: ((ويقال: صفرتها من الطيب)) [٢] ولذا فالعرارة لابد أن تكون نبتًا أصفر طيبًا، فصفارُه من طيبه لا من ذبوله؛ والمقام هنا وصفٌ للمرأة يقتضي ذلك. وزاد ابن يعيش الأمرَ وضوحًا بقوله: ((صفراء من كثرة الطيب، كما قال الأعشى.. أراد ـ أيضًا ـ تتطيب بالعشي)). [٣]

(١) الملمع على الترتيب: (٧، ١٥، ١٨، ٤٣، ٤٦، ٥٠، ٧٠، ٧١، ٨٢، ١٠١)

(٢) السابق (٦)

(٣) شرح المفصل (١١٢/٥) لابن يعيش، ط إدارة الطباعة المنيرية- مصر، د.ت.

وعدم الاكتفاء بكلمةٍ واحدةٍ يمكن أن يقال - أيضًا- في تفسير: (القَهْد) بـــ(المغبَّر من الغنم)، فقيد (المغبر)، وكذا (من الغنم) كلاهما من الأهمية - هنا- بمكان.

وكذلك في تفسير (الجُوْءة) بـــ (لون صدأ الحديد)، فلو فسره بكلمة (لون) فقط ما كان سيعطينا تصورًا واضحًا لهذا اللون الذي نراه على الحديد عند صدئه.

و(شَدقم وجَديل) ليسا فحلين فحسب، وإنما هما فحلان كريمان.

فالقيد الزائد في تلك العبارات سواء أكانت علاقته بما قبله الإضافة أم الوصف، له دلالته التي ما كان يمكن الاستغناء عنها، عند إرادة تمام تفسير المعنى.

٣. التفسير بتحديد المكونات الدلالية:

رأى النَّمَرِيّ في بعض المواضع حاجةً إلى طريقة للتفسيرٍ تكون أكثر وضوحًا من التفسير بالكلمة المقاربة أو الكلمتين، فركن إلى ما يعرف في الدرس الـــدلالي الحديث بـــ(التفسير بالمكونات الدلالية).

وتقوم فكرة هذا التفسير «على تحليل المحتوى الدلالي للكلمة إلى عددٍ مـــن العناصر أو الملامح التمييزية، التي من المفترض ألا تتجمع في كلمةٍ أخرى سوى الكلمة المشروحة، وإلا كان اللفظان مترادفين» (١)

فيبدأ التفسير بذكر كلمةٍ تدل على الجنس، تصدق على كثيـــر مـــن الأفـــراد، تتلوها قيودٌ دلاليةٌ، أو ما يعرف بـــ(الملامح الفارقة) كالشـــكل، أو الوظيفـــة، أو الدرجة اللونية، أو صفات أخرى، تقيد المعنى وتخصِّص عمومه، بحيث لا يشارك اللفظَ فيها غيرُه.

ومن أمثلة اعتماده على هذه الطريقة قوله: «الجَهَام: السَّحَاب الذي لا مـــاء فيه»، وقوله: «النَّشَاص: السحاب المرتفع.. ولا يقال له نَشـــاص حتـــى يكـــون مرتفعًا»، وقوله: «بناتُ مَخْر وبَخْر: سَحَابٌ، يَجِئنَ في الصيف.» (٢)

(١) المعجم والدلالة (١٤٧)

(٢) ينظر: الملمع (٥٠، ٥١)

فكلمة (سحاب) في هذه الأمثلة الثلاثة تمثل اللفظ العام الدال على الجنس، الذي تندرج تحته تلك الكلمات المشروحة، ويأتي بعده في كل مثال منها قيدٌ يمثل ملمحًا فارقًا بينها، فالجهام (لا ماء فيه)، والنشاص (لابد من أن يكون مرتفعًا)، والمخر والبخر (لا تأتي إلا صيفًا).

ولعل ورود هذه الألفاظ في أبياتٍ شعريَّةٍ في موضعٍ واحدٍ هو ما دعا النَّمَرِيّ إلى التفريق الدلالي بينها؛ اعتمادًا على تلك الملامح الفارقة.

ومن مواضع هذه الطريقة التي يصدق عليها ما أسلفتُ طرفًا منه في الأمثلة السابقة: قوله: ((الأَبْلَجُ: الأبيضُ، الواسعُ الوجه، في القِصر والطول.))، وقوله: ((قال أبو رياش- رحمه الله- فَقْع وفِقْع. وهي الكَمْأة البيضاء، التي تنجلُها الدَّواب، يشبَّه بها من لا خير عنده من الرجال..))، وقوله: ((الأَدْعَجُ، وهو الشاب الشديد سواد الشعر.))، وقوله: ((الأسَرُّ: البعير، الذي يشتكي سُرَّته.))، وقوله: ((قال أبو رياش- رحمه الله-: القَارة: جبل صغير، أسود، منفرد، ليس حوله شيء، وله طول في السماء.))، وقوله: ((والأقشر: الأحمر، الذي ينقشر وجهه، وهو لون قبيح.)) (١)

٤. التفسير بذكر السياق:

اعتمد النَّمَرِيّ في شرح المعاني في (المُلَمَّع) على طريقة التفسير بذكر السياق بشكل أساس، يتضح ذلك من خلال إيراد بعض الاستشهادات التي أوردها، لا لمجرد إثبات معرفة العرب للكلمة، أو الاستدلال على استعمالها، أو غيرها من وظائف الاستشهادات، وإنما لتفسير المعنى.

ومن المواضع التي اعتمد فيها على تلك الطريقة، تفسيره كلمة (صهباء) بقوله: ((فإذا كانت الخمرة بيضاء فهي صهباء، قال الأصمعي: الصهباء: الخمرة

(١) الملمع على الترتيب: (٢٨، ٥٥، ٦٦، ٧٩، ٩١)

من العنب الأبيض، وقال غيره: من الأبيض وغيره. قال جميل[١]: [من الوافر]

وَمَا صَهباءُ صَافِيةٌ كُمَيْتٌ كَريحِ المِسكِ مُنجابٌ قَذَاها[٢]

فهذا يدل أنها حمراء..)) [٣]

فقد اعتمد في تفسير معنى الصهباء وتحديده باللون الأحمر على قول جميل السابق، واعتمد في تأكيده على ذلك بالسياق الداخلي السابق، المتمثل في كلمة (كُمَيْت)، حيث توصف بها الخمرة الحمراء؛ لذا يقول في موضع آخر من كتابه: ((فإذا كانت الخمرة حمراء فهي كُمَيْت..)) [٤] فـ(كُمَيْت) تأكيدٌ لـ(صَهبَاء) من حيث عدم إطلاقها إلا على شدة الحمرة.

ومن مواضع هذه الطريقة أيضاً:

قوله: ((يقال: أَبيضُ يَقَقٌ.))، وقوله: ((وأبيضُ لِياح.))، وقوله: ((وأبيض وَابِص ووبّاص))، وقوله: ((وأبيض بَرَّاق.))، وقوله: ((وأبيض نَاصِع.))، وكذلك قوله: ((يقال: أسود حَالِك وحَانِك.))، وقوله: ((وأسودُ غِرَابِيب.))، وقوله: ((وأسودُ غَيهَم وغَيهَب.))، وقوله: ((وأسود فَاحِم.))، وقوله: ((وأسودُ غُدَاف.))[٥]، ونجد مثل هذا في باب (الحمرة، والصفرة، والخضرة) [٦]

(١) البيت غير موجود في ديوانه.

(٢) القَذى: ما يسقط في الشراب.

(٣) الملمع (٥٧، ٥٨)

(٤) الملمع (٩٦)

(٥) السابق على الترتيب: (٩)، (١٠)، (١١)، (١٣)، (٢٨)، (٦٠)، (٦٢)، (٥٧، ٥٨)، (٦٤)، (٦٤).

(٦) ينظر: السابق (٨٥ وما بعدها)، و(٩٧ وما بعدها)، و(١٠١ وما بعدها).

ويطلق المحدَثون على هذا النوع من الاعتماد على السياق أو وجهٍ منه على الأقل (التصاحب الحر)، ويتحقق «حين يمكن أن تقع الكلمة في صحبة كلمات غير محدودة، كما يمكن أن يستبدل بها غيرها في موقع كثيرة .» [١]

فكلمة (الأبيض) صاحَبَها النَّمَرِيّ بعدة كلماتٍ تدل على اللون نفسِه، أو درجةٍ منه، فوضَّح هذه الألفاظ بصحبتها للون الأبيض، كما وضَّح أن للأبيض ألفاظًا متعددةً تأتي مؤكِّدات له، يقول: «والعرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكدتها» [٢]

وكذلك من مواضعه «وأحمرُ فَاقِع وفُقاعِي. ويقالان في الصفرة» [٣]

وفي مقابل هذا النوع ذكر المحدثون (التصاحب المنتظم) والذي يتحقق «حين يلاحظ تكرار التصاحب، وعدم إمكانية إبدال جزءٍ منه بآخر، أو إضافةِ شيءٍ آخر إليه» [٤] ويدخل في ذلك ما أورده النَّمَرِيّ عن أبي رياش في قوله: « ولا يقال: فاقع إلا للأصفر، فمن قال: أسود فاقع فهو كمن قال: أبيض حالك.» [٥]

فهذا النص به نوعان من المتصاحبات المنتظمة، كما ورد عن أبي رياش: الأصفر الفاقع، والأسود الحالك، حيث لا يقال: أسود فاقع، ولا أبيض حالك.

وقد أورد النَّمَرِيّ ما ينقض التصاحب الأول (أسود فاقع) في موضع سابق دون أن يعقب على أبي رياش هنا، حيث يقول هناك: «ويقال في الألوان كلها: فاقع وناصع، إذا خلص وصفا» [٦] إذًا يمكن قول: أسود فاقع؛ بناءً على ذلك ما دام اللون فيه خالصًا وصافيًا.

---

(١) المعجم والدلالة (١٥٥)

(٢) الملمع (٨)

(٣) السابق (٨٨)

(٤) الملمع (٨٨)

(٥) السابق (٩٨)

(٦) الملمع (٨٩)

أما التصاحب الثاني: (أسود حالك) فيسلم لأبي رياش، وللنمري في إيراده، حيث إن الحلكة مرتبطة بالسواد دائما، ولا تتعلق بلون آخر، فالمصاحبة فيها منتظمة.

تعقيب على طرق تفسير المعنى:

١. أوَّلًا- تتصف طرق تفسير المعنى عند النَّمَرِيّ بعدة خصائص منها التنوُّع، فقد اعتمد على طرق متعددة لتفسير المعنى- كما هو واضح من السطور السابقة- بحسب ما يقتضيه المقام، ومدى اتصاف المعنى بالوضوح أو الاقتراب منه أو البعد عنه، فليس من البلاغة والفصاحة تعريفُ المعرَّف، أو الإيغال في تعريفه، كما أنَّ مرور الكرام على الألفاظ الغريبة ليس من المستحسنات في الصناعة المعجمية، خصوصًا في كتابٍ يتناول كثيرًا من الاستشهادات الشعرية وغيرها من أقوال العرب التي قد تحتاج إلى مزيد إيضاحٍ وشرحٍ.

٢. جمع النَّمَرِيّ في بعض الأحيان بين طريقتين للتفسير، ففسَّر الشيء الواحد بهما، إما في موضع واحدٍ أو في موضعين مختلفين، فمثال الموضع الواحد، قوله:

((قال الهذلي(١):

[من السريع]

عِينٌ عَلَيهنّ كِنانيةٌ جَاريةٌ كالرَّشأِ الأكْحَلِ
كالأَيْم ذي الطُّرّة أو نَاشئ الـ بَرديِّ وسْط الحَفَأ المُغْيلِ (٢)

.. والمُغْيَل: ذو الغَيْل، وهو الماء الجاري على وجه الأرض.)) (٣)

---

(١) ديوان الهذليين (٢/٤) الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة، ١٣٨٥ه- ١٩٦٥م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. وفيه: (تحت) بدلا من (وسط).

(٢) الرشأ: ولد الطبية إذا قوى وتحرك. الأيم: الحية الذكر، البردى: نبات مائي، وناشئه: صغاره، والحفأ: البردي، المغيل: الذي في الغيل وهو الماء الجاري.

(٣) الملمع (٤٧)

ففسر الكلمة أولًا بالمعنى اللغوي، الذي لم يزد الأمر وضوحًا، ليلجأ بعده مباشرة إلى المعنى السياقي واضح الدلالة.

ومثل ذلك أيضًا في لجوئه إلى المعنيين اللغوي والسياقي، قوله:

((قال الشاعر[١]:

[من الكامل]

مِن كُلِّ حَنكَلَةٍ كَأنَّ جَبينَها كَبِدٌ تَهَيَّأ للبِرامِ دِمَامَا[٢]

الدِّمام: ما أُصلحَ للبِرام. يريد القدر التي تجري))[٣] فبدأ بالمعنى اللغوي، وأتبعه بالسياقي؛ لزيادة الإيضاح.

ومثال ما فسر فيه الكلمة الواحدة بطريقتين مختلفتين في موضعين متتاليين، قوله: ((والنشاص: السحاب – أيضًا– قال حميد بن ثور[٤]:

[من الطويل]

أَرِقتُ لِبَرقٍ في نَشاصٍ خَفَتْ بِهِ سَواجِمُ في أعناقِهنَّ بُسُوقُ[٥]

النشاص: السحاب المرتفع، بسوق: طول، ولا يقال له: نشاص حتى يكون مرتفعًا.))[٦]

---

(١) لم أقف على قائله، وفي اللسان أنشده ابن بري، مادة (ح. ن. ك. ل) [١٨٤/١١]

(٢) الحنكلة: من النساء السوداء القصيرة.

(٣) الملمع (٧٠)

(٤) ديوانه (١٦٥)، جمع وتحقيق: د. محمد شفيق البيطار، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، السلسلة التراثية (٢٣)، ط أولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. بلفظ مختلف، ففيه:

وأسجم دانٍ في نشاصٍ خفا به :: لوامعُ في أعناقهن بُسُوقُ

(٥) السواجم، جمع ساجمة، وهي السحابة التي تصب الماء صبًّا.

(٦) الملمع (٥١)

ففسر كلمة (النشاص) مرتين، إحداهما بكلمة مفسرة، والأخرى زاد عليها قيد الارتفاع، بل عاد وأكد أنه لا يطلق عليه ذلك اللفظ إلا إذا كان مرتفعًا. وجاء هذا التعدد نتيجة لحرصه على البيان والإيضاح.

٣. لم يعتمد على التفسير بالضد، وهو طريقة شهيرة في المعاجم وكتب اللغة؛ لأنه – كما أرى– يتناول حقلًا دلاليًّا مهمًّا، لا يجوز فيه الحمل على الضد، لاحتياج الدرجات اللونية التي تدل عليها الألفاظ الواردة في الكتاب إلى التمييز والإيضاح.

ثانياً- تعليل التسمية:

من القضايا الدلالية المهمة التي تقوم في جانبٍ كبيرٍ منها على الرَّبط بين اللفظ ومعناه مبحثُ (تعليل التسمية)، ومعناه: ((أن يكون في الشَّيء المسمَّى ملحظٌ أو صفةٌ ما، يكون الاسم معبرًا عنها، فيكون ذلك الملحظ أو الصفة هو علة التسمية))[١]

ومن هذه المَلاحِظ التي تعد عللًا أنْ يسمَّى الشيء باسم المادة الطبيعية التي صُنع منها، أو بوصفٍ فيه، أو بوظيفته، أو بالنظر إلى علاقته بغيره، أو نسبته إليه، أو بملابسه زمانًا، أو باسم جزءٍ منه، أو بمجاوره، أو ما هو منه بسببٍ، أو بما يئول إليه، أو ما يشبهه.. أو غيرها[٢]

وقد عُني كثيرٌ من علمائنا القدامى بهذه القضية، إما من خلال التطبيق العمليّ، بذكر الكثير من علل التسمية، وذلك منثورٌ في المعاجم والمؤلفات اللغوية، وإما من خلال بعض الإشارات التنظيريَّة الرائدة، والَّتي منها – على سبيل المثال– قول ابن الأعرابيّ: ((الأسماء كلها لعلةٍ خصتْ العربُ ما خصَّت منها.

(١) تعليل الأسماء (٤) د. محمد حسن جبل، بحث منشور بمجلة اللغة العربية بالمنصورة، العدد ١٠، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٢) السابق (٢٤ وما بعدها)

من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله.. فإنْ قال قائلٌ: لأي علةٍ سُمِّي الرجل رجلًا، والمرأة مرأةً، والموصل موصلًا، ودعد دعدًا؟ قلنا لعِلَل علمتها العربُ وجهلناها أو بعضها، فلم تزُل عن العرب حكمة العلم بما لحقنا غموض العلة، وصعوبة الاستخراج علينا)) [١]

وهو بذلك يضع قاعدةً عامةً مفادها أن هناك عللًا للأسماء، علمناها من خلال النقل عن علمائنا، أو تلمَّسناها من خلال الذائقة اللغوية، أو خفيت عنا.

وكان النَّمَرِيّ – كغيره من علمائنا– ممن عُنوا بنقل هذه العلل أو اجتهدوا في استخراجها، فتوافرتْ في كتابه على صغر حجمه، ومحدوديَّة موضوعه عددٌ من تعليلات التسمية.

كما أنَّه أشار في بعض المواضع إلى إطلاق التسميات من قِبَل العرب، كقوله: ((والعرب تسمي الأسودَ أخضرَ)) [٢] في إشارة إلى أن ذلك من باب التوسع في الدلالة، لا من جهة الأصل الوضعي لكلمة (الأخضر).

وذكر في موضع آخر أنَّ هذه التسميات تخضع لمبدأ الشيوع، ففي حديثه عن قول ابن قتيبة إن العرب تطلق على الأسود كلمة الأصفر، قال: ((ولو تكلمت بما ذكره ابن قتيبة لشاع، كما قيل للأسود أخضر، وللأبيض أحمر، ولكن العرب لم تتكلم به.)) [٣] فما أطلقتْ عليه العربُ اسمًا– في مجال الألوان– فهو المستعمل، المُحتج به، وما لم تطلق عليه فلا حجَّةَ فيه.

وقد اعتمد النَّمَرِيّ بشكل أساسٍ على ملحظين مُهمِّين من مَلاحِظ التسمية:

الملحظ الأول– تسمية الشَّيء بوصفٍ فيه:

ويُعدُّ هذا الملحظ أوسع الملاحظ التي ذكرها، والسبب في ذلك أنَّ هذا الوصف يتعلق بلون الشيء، الذي هو موضوع (المُلَمَّع)، فاتصاف الشَّمس، والنَّهار،

(١) المزهر (١/٤٠٠)

(٢) الملمع (٨٤)

(٣) السابق (٩٩)

والزُّهرة، والمهاة بالبياض كان مدعاةً – كما ذَكَرَ الرجلُ– إلى إطلاق لفظيْ الجون والزُّهرة عليها، يقول: ((.. وتُسمَّى الشمسُ جونةً؛ لبياضها))[١] ويقول: ((.. ويُسمَّى النهارُ جونًا؛ لبياضه))[٢] ويقول: ((.. وسُمِّيتْ الزُّهرةُ – فُعْلة– النَّجمُ؛ لبياضها وصفائها، وسُمِّيتْ المَهَاةُ زهراءَ؛ لذلك))[٣]

وكما كان إطلاق الجون على الشَّمس والنَّهار؛ لبياضهما، كان إطلاق اللفظ نفسِه – وهو من الأضداد– على النَّمِر؛ للسَّواد الذي فيه، يقول: ((.. وسمِّي النَّمِرُ أبا الجون؛ للسَّواد الذي فيه.))[٤]، ولصفة السَّواد نفسها سُمِّي الدخان يحمومًا، قال: ((وسُمِّي الدخان يحمومًا؛ لسواده. قال الله عز وجل: ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٣] والله أعلم))[٥]

ويبدو من قوله: (والله أعلم) أنه اجتهادٌ منه في تعليل هذه التسمية، إنْ كانتْ العبارةُ تعقيبًا على هذا التعليل، لا على تفسير الكلمة في سياقها القرآني.

لكني وقفتُ على التعليل نفسِه أو قريبٍ منه في تفسير الطبري (٣١٠هـ)، وذلك في قوله: ((﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ يقول جل ثناؤه: وظلّ من دُخانٍ شديد السَّواد. والعرب تقول لكلّ شيءٍ وصَفَتْه بشدّة السواد: أسود يَحْموم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.))[٦]

---

(١) الملمع (٢٨)

(٢) السابق (٢٩)

(٣) السابق (٣٣)

(٤) السابق (٦٧)

(٥) السابق (٧٣)

(٦) تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٣٤/٢٢) للطبري، تح. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، ط أولى ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

ومن أمثلة هذا المَلحَظ أيضًا:

- قوله: ((وسُمِّيتْ الحمام وُرْقًا؛ لورقتها..))[١]

والوصف الذي تقوم عليه التسمية –هنا– هو اللون – أيضًا– فالوُرْقة ((لونٌ يشبه لونَ الرَّماد. وبعيرٌ أورقُ، وحمامةٌ ورقاءُ، سُمِّيتْ للونها، والرَّجُل كذلك أورَقُ، ويقولون: عَامٌ أوْرَقُ، إذا كان جَدْبًا، كأنَّ لونَ الأرضِ لونُ الرَّمادِ..))[٢]

وكذا أورد الزَّبيدي عن ((الحسن بن عبد الله بن محمد بن يحيى الكاتب الأصبهاني في كتاب الحَمام المنسوب إليه، الأورق: الذي لونه لون الرماد فيه سواد، يقال: أورق وورقاء، والجمع الوُرْق..))[٣]

– وقوله: ((والخضرة عند العرب السواد؛ وسُمِّي سوادُ العراق سوادًا؛ لكثرة خضرته))[٤]

وقد يكون ذلك الإطلاق بسبب التداخل اللوني بين الأخضر والأسود – كما أسلفنا– أو أن ذلك بسبب اختلاف الرؤية نتيجة ، يقول الربتكي (١٠٦٠هـ): ((.. وأما الخراجية: فهي سواد العراق سوى البصرة، كما ذكرناه، وسمي سوادًا؛ لكثرة زرعه، والخضرة ترى من البعد سوادًا)) [٥]

الملحظ الثاني– تسمية الشيء بما يشبهه:

---

(١) الملمع (٧٣)

(٢) مقاييس اللغة (و. ر. ق) [١٠٢/٦] لابن فارس، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس (و. ر. ق) [٢٦/ ٤٦٥] الزبيدي، تح: مجموعة من العلماء، ط وزارة الإعلام– الكويت، سلسلة التراث العربي ١٦

(٤) الملمع (١٠٢)

(٥) المنهاج في بيان العشر والخراج (١٢٨)، لعبد الله بن أحمد الربتكي، تح. جاسم عبد شلال شلال النعيمي، دار الكتب العلمية– بيروت، ط ٢٠١٢م

ومن ذلك إيراده في (ذِكر السَّواد): قول أبي عمرو الشيباني ((فإذا كانت الضَّأن سودًا، فهي لابةٌ، تُشبَّهُ بالحرَّة.)) [١] فعن الأصمعي – فيما أورده الأزهري–: ((اللابة: هي الأرض التي قد ألبستها حجارة سُود)) [٢]

فتسمية الضَّأن لابةً جاء بسبب شبه سوادها بالحصى الأسود الذي يغطي اللابة؛ فلشبههما في اللون اتحادًا أيضًا في اللفظ، أي أن هذا الشبه أصبح مسوغًا لذلك الاتحاد، ففي الصحاح: ((.. واللابة: الحَرَّةُ.)) [٣] وكذلك الضأن السود على قول أبي عمرو الذي نقله النَّمَري.

ولم أقف فيما عدتُ إليه من مراجع على وصف الضأن باللابة، وإنما أتى الوصف للإبل، يقول الزَّبيدي:((ومن المجاز: اللابة: الجماعة من الإبل المجتمعة السُّود، شبَّه سوادها باللابة: الحرَّة، وقد تقدم أن اللابة لا تكون إلا حجارة سودًا.)) [٤]

ومثله في تسمية الشيء بما يشبهه قوله: ((وفي الحرةِ النَّعْلُ، وهي شبيهةٌ بالنَّعل في طولٍ وصلابةٍ)) [٥] فقد شبَّه الأرض ذات الحجارة الصَّعبة بالنَّعل، بالنَّعل، ومما ذكره الزمخشريُّ في المجاز قوله: ((وسلكوا نَعْلًا من الأرض وخُفّا)) [٦].

---

(١) الملمع (٧٤)

(٢) تهذيب اللغة (ل. و. ب) [٣٨٣/١٥] الأزهري، تح: مجموعة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٣) الصحاح (ل. و. ب) [٢٢٠/١]

(٤) تاج العروس (ل. و. ب) [٢٢٥/٤]

(٥) الملمع (٨٢)

(٦) أساس البلاغة (ن. ع. ل) [٢٨٦/٢] الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط أولى،١٤١٩ه ١٩٩٨م

ومن الأمثلة على هذا الملحظ أيضًا:

- قوله: ((وأسود فاحم: أي كلون الفحم.))[١] فسبب التسمية بذلك الشبه في اللون.
- وقوله: ((وأسود غرابي، كلون الغراب.))[٢]
- وقوله: ((ويقال الماذي: العسل اللين؛ ولذلك قيل للدرع: ماذية.))[٣]

ومن الواضح أنَّ أساس هذا التشابه هو المعنى عام للمادة اللغوية (م. ذ. ى) التي تدل ((على سهولة في جريان شيء مائع..))[٤] ولذا يضيف ابنُ فارس: ((ويقولون: إن ماذي العسل أبيضُه. وقياس الباب أنّ الماذي: السهل الجِرية اللَّيِّن. وكذا الدروع الماذية: السَّلِسَة، والخمر ماذية، إذا سهلت في حَلْق شاربِها))[٥] ولا يخفى أن المذي في الدروع معنوي، وغالبًا ما يكون متفرعًا عن المعاني الحسية، كمذي العسل أو سيلانه في مثالنا هذا.

من خلال النماذج السابقة كلها نعلم موقف النَّمَرِيّ من تعليل التسمية، حيث إنه بذلك مؤيدٌ لوجود حكمة في تسمية الأسماء، ولعل قلةَ إشاراته في هذا الشأن سببُها محدودية موضوع الكتاب؛ لكنها على قِلَّتِها كافيةٌ في الدلالة على ذائقة الرجل في تعليل تلك التسميات.

---

(١) الملمع (٦٤)

(٢) السابق (٦٤)

(٣) السابق (٥٦)

(٤) مقاييس اللغة (م. ذ. ى) [٣٠٩/٥]

(٥) السابق المادة نفسها.

المبحث الثاني
العلاقاتُ الدلاليَّةُ في (المُلَمَّع)

تظل العلاقاتُ الدلاليَّةُ من القضايا المُهمِّة في المعاجم وكتب اللغة؛ كونها تمس مسألة من المسائل اللغوية المهمة التي شغلت العلماء في القديم والحديث؛ أعني العلاقة بين اللفظ والمعنى.

فقد تتعدد الألفاظ مع اتفاق المعنى؛ فيما يعرف بـ(الترادف)، أو تتعدد الألفاظ وتتقارب المعاني؛ فيما يعرف بـ(الفروق الدلالية). أو يتفق اللفظُ مع اختلاف المعانى، وهو (الاشتراك اللفظي)، أو يتفق مع تضادها؛ فيما يعرف بـ(التضاد)، والسطور التالية تتناول تلك العلاقات في كتابنا موضعِ الدراسة:

أوّلًا- الترادف في (المُلَمَّع):

أورد النَّمَرِيّ كثيرًا من الألفاظ متقاربة المعاني، ومع ذلك لم يرد في كلامه ذكرٌ لمصطلح (الترادف)، أو ما يقاربه صراحةً، من مثل: (اختلاف الألفاظ واتفاق المعنى).

وإنما استعمل في الدلالة على ذلك التقاربِ الدلاليِّ لفظَ (التسوية) غالبًا، وذلك في مثل قوله:((.. فهذه الثلاثة [يَقصِد كلمات: يَقَق- لَهَق- لِياح] كلهن سواءٌ.))[١] وقوله: ((.. فهذان [يقصد كلمتي: حرّ- هجان] متساويان))[٢] واستخدم كذلك لفظَ (واحد) وصفًا للمعنى رابطًا به بين كلمتين، فقال: ((الأغر والجون واحدٌ.))[٣]

(١) الملمع (١١)
(٢) السابق (١٩)
(٣) السابق (٢٨)

وقد تكون هذه العباراتُ السابقةُ هي الأقرب – عنده – في دلالتها على الترادف، وإن كان قد استعمل تعبيرًا آخر هو المِثلُ، كما وَرَدَ في قوله: ((الشُّبرمُ: القصيرُ الدَّميمُ، والأرضعُ مثلهُ.)) [١]

وفي بعض الأحيان يذكر المعنى الجامع بين اللفظين أو الألفاظ المتقاربة، فيقول: ((فهذان [أي: أبلج– واضح] متساويان، ومعناهما الوضوح.)) [٢]

ويقول: ((فهذان [أي: أزهر– مشرق] سواء، ومعناهما: الضياء.)) [٣]

ولعل الأسئلة المُلِحَّة الآن: هل الألفاظ التي أوردها النَّمَرِيّ في هذا الجانب مترادفةٌ فعلًا؟ أم أنّ بينها فروقًا دلالية؟ وهل هناك ما يشير في كلام النَّمَرِيّ إلى اقترابه من التفريق بين الترادف التام والناقص بحسب تصنيفات الدرس الدلالي الحديث؟

سأحاول من خلال دراسة النماذج التالية الإجابةَ عن هذه الأسئلة:

١. أبيض يَقَق– لَهَق– لِياح[٤]:

قال النَّمَرِيّ: ((يقال: أبيض يَقَق. قال رؤبة بن العجاج:

[من الرجز]

ومَاجَ غُدرَانُ الضَّحَاضِيح اليَقَقْ وافتَرَشَتْ أبيَضَ كالصُّبح اللَّهَقْ[٥]

---

(١) الملمع (٧٠)

(٢) السابق (٢٢)

(٣) السابق (٢٦)

(٤) وردت في هذه الكلمات أوجه، فاليقَق: بفتح القاف وكسرها، واللهق بفتح الهاء وكسرها، ولياح بفتح اللام وكسرها.

(٥) ديوانه (١٠٥) ضمن مجموع أشعار العرب، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة– الكويت، د.ت.

ماج: جرى. الضحاضيح، جمع ضحضاح، وهو القليل من الماء، والمقصود هنا: السراب.

وأبيض لَهَق. قال الأخطل يصف الثور:

[من البسيط]

أمَّا السَّراةُ فمن ديباجَةٍ لَهَقٍ وبالقَوائمِ مِثلُ الوَشْمِ بالقَارِ[١]

.. وأبيض لَياح ولِياح.. قال جرير:

[من الوافر]

سيَكفيكَ العَواذِلَ أَرْحَبِيٌّ هِجانُ اللونِ، كالفَرَدِ اللَّياحِ[٢]

قوله: كالفرد اللياح: يعني الثور الأبيض.. ومعناهن المبالغة، فهذه الثلاثة [أي: اليقق واللهق واللياح] كلهن سواءٌ، وليس لهن فِعْل.))[٣]

وقد أورد الجوهري عن ((الكسائي، يقال: أبيض يَقَق، أي شديد البياض ناصعُه.)) [٤] وجعل صاحبُ (العين) اللهقَ مثله في قوله:((اللَّهقُ: الأبيضُ ليس

(١) ديوانه (٧٧) دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م.

السراة: أعلى الظَّهر، الديباج: الحرير، ويقصد هنا أملس، فهو ظهر ثور. القار: القطران.

(٢) ديوانه بشرح محمد بن حبيب (٢١٨/١)، تح. د. نعمان محمد أمين، دار المعارف، ط ثالثة، د. ت.

أرحبي: نسبة إلى أرحب بن همدان. هجان: أبيض، الفرد اللياح: الثور الأبيض.

(٣) الملمع (٩ وما بعدها)

(٤) تاج اللغة وصحاح العربية مادة (ي ق ق) [١٥٧١/٤]، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط رابعة ١٩٩٠م. وينظر: إصلاح المنطق (١٠٠)، والقاموس المحيط (ي ق ق) [٩٣٠]، وتاج العروس(ي ق ق) [٢٧/ ٣٢]، ومتن اللغة (ي ق ق) [٣٨٣/٥]، للشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٣٨٠ه- ١٩٦٠م، وقاموس الألوان عند العرب (٢٧٤)، د. عبد الحميد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م

بذي بَرِيقٍ ولا مُوهَةٍ[١] كاليَقَق[٢]، إنما هو نعتٌ للثورِ والثوبِ والشيبِ.)) [٣]

وأما اللياح فيورد ابنُ منظور أنه يقال: ((أبيض لِياح: إذا بولغ في وصفه بالبياض)) [٤]، وقال الفيزوآبادي هو ((الأبيض من كل شيءٍ، وأبيض لِياح: ناصعٌ))[٥]

ويتضح من هذه الأقوال السابقة، وما نحا نحوها أنَّ هذه الكلمات الثلاث مترادفةٌ في الدلالة على البياض الشديد، ويؤكد ذلك وصفُ النَّمَرِيّ إياها بكونها سواءً، لكنْ هل هذه الكلمات مترادفة فعلًا؟

من خلال بعض النصوص التي أوردتْ بعضًا من هذه الكلمات، يبدو أنهم يقصدون ترادفها، إما تصريحًا من مثل ما أورده الأزهري من قول أبي عبيد: ((أبيض يقق ولهق بمعنى واحدٍ))[٦] وأورد الصغاني:((وأبيض يَلَق ولَهَق ويَقَق بمعنى واحدٍ.))[٧]

---

(١) المُوهَة: لون الماء، كما أورد صاحب العين نفسه في كتابه، مادة (م و ه) [١٠١/٤].

(٢) وردت هذه الكلمة في النسخة التي حققها د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي مصحفةً هكذا: (كاليقف). ولم ينتبه إلى ذلك د. عبد الحميد هنداوي عند إعادته ترتيب (العين) فنقل هذه الكلمة عنهما على تصحيفها.
واعتمدتُ في تصحيح اللفظ على ما نصَّ عليه علماؤنا من مقاربة اللهق لليقق فيما هو معروف من أوصاف اللون الأبيض. وكذلك على ما أورده الأزهري في (التهذيب) عن (العين)، وفيه (كاليقق) [٤٠١/٥]

(٣) العين (ل ه ق) [٣٦٨/٣].

(٤) لسان العرب (ل و ح) [٥٨٦/٢] لابن منظور، ط دار صادر– بيروت، ط ثانية، دون تاريخ.

(٥) القاموس المحيط (ل و ح) [٢٤٠] للفيروزآبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط ثامنة.

(٦) تهذيب اللغة (ل ه ق) [٤٠١/٥]

(٧) التكملة (ي. ل. ق)

وإما ضمنًا كقول ابن السكيت: ((ويقال: أبيض يقَق ويقِق حكاهما الكسائي، ولهَق ولهِق: الشديد البياض)) [١] فقد شرح كليهما بمعنى واحدٍ.

ولكن يبقي احتمال أنهم أرادوا بالمعنى الواحد أو بالتسوية بين هذه الكلمات ذلك المعنى العام الذي تدل عليه هذه الكلمات، دون النظر إلى ما بينها من ملامح تمييزية فارقة، أو أنَّ الترادف الذي يقصدونه يساوي ما يُعرف في الدرس اللغوي الحديث بـ(الترادف الناقص)، ويقوي ذلك عندي عدة أمورٍ، منها:

أوَّلًا- اختلاف الأشياء الموصوفة بهذه الكلمات، فيوصف باليقق جُمار النخل، والقطن، والفضة[٢] بينما يُطلَقُ اللهقُ على الثور، والثوب، والشيب، والبعير.[٣] ويوصف بالليلاح الثور الوحشي، والصبح، والقمر.[٤]

ثانيًا- يقتضي الاختلاف في هذه الأشياء الموصوف بها اختلافًا في درجة اللون الأبيض في كل منها، فلا لون القطن كلون الثور، ولا هما كلون الصبح .. إلخ.

فهذه الموصوفات وإن تدثرت باللون الأبيض، لكنَّ الدرجة اللونية في كل منها ليست مثل الأخرى تمامًا، فمما ورد في المعجم الوسيط أن ((الليلاح: الأبيض

(١) إصلاح المنطق (١٠٠) لابن السكيت، تح: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٤٩م.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة مادة (ي ق ق) [٣٦٧/٩]، فقه اللغة للثعالبي (١٢١)، والتكملة والذيل والصلة، والقاموس المحيط مادة: (ي ق ق)[٩٣٠].

(٣) ينظر: العين، مادة: (ل ه ق) [٣٦٨/٣] والتهذيب (ل ه ق) [٤٠١/٥] ، والمقاييس (ل ه ق) [٢١٧/٥] ، والقاموس المحيط مادة: (ل ه ق) [٩٢٢]

(٤) ينظر: العين (ل. و. ح) [٣٠١/٣]، الصحاح (ل. و. ح) [٤٠٣/١]، والقاموس المحيط (ل و ح) [٢٤٠]، وقاموس الألوان عند العرب (٢٣٣)

من كل شيء)) [١] أي أن دلالته على البياض إنما هي دلالة عامة، ولا شك أن البياض في الأشياء المتعددة الموصوفة باللياح ليست على درجةٍ لونيَّةٍ واحدةٍ.

ويؤكد ما ذهبتُ إليه من أنَّ دلالة هذه الألفاظ الثلاثة على شدة البياض ليست على درجةٍ واحدةٍ لا تختلف، ترتيبُ الثعالبي لها في الفصل الذي خصَّصه لـ(ترتيب البياض)، بقوله: ((أبيض، ثم يقق، ثم لهق، ثم واضح، ثم ناصع، ثم هجان وخالص.)) [٢]

فجعل اللهق أعلى مرتبةً في الدرجة اللونية من اليقق، وأما اللياح فقد يكون في مرتبةٍ فوقهما؛ لأن بعض اللغويين فسّر اللياحَ بالناصع، يقول الفيروزآبادي:((وأبيض لياح: ناصع)) [٣] والناصع أعلى منهما كما ورد في نص الثعالبي. وقد يؤكد ذلك إطلاقُهم (اللهق) على البعير الأعيس كما أورد الأزهري[٤]، والأعيس هو الذي خالط بياضه شقرة[٥]، أي أنه – فيما يبدو– ليس بياضًا خالصًا.

ثالثا– يضاف إلى ذلك عدم تصريح هؤلاء العلماء – في حدود النصوص التي اطلعتُ عليها– بلفظ (الترادف) بين هذه الكلمات، أو (اتفاق المعنى مع اختلاف الألفاظ) أو غيرها من المصطلحات الدالة على تلك العلاقة الدلالية.

والنَّمَرِيّ – فيما أرى– يقصد بالتسوية بين هذه الألفاظ الثلاثة الدلالةَ على المبالغة، أي المعنى العام الذي يجمع بين ثلاثتها، دون النظر إلى الملمح الدلالي الفارق بين كل منها، ودون النظر إلى عدم المساواة في درجاتها اللونية الدالة على شدة البياض.

---

(١) المعجم الوسيط (ل. ا. ح) [٨٤٥] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط مكتبة الشروق الدولية، رابعة ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م

(٢) فقه اللغة (١٢١)

(٣) القاموس المحيط (ل. و. ح) [٢٤٠]

(٤) تهذيب اللغة (ل ه ق) [٤٠١/٥]

(٥) فقه اللغة (١٢١)

وتشترك هذه الكلمات الثلاث – أيضًا– في أنها من مؤكدات اللون الأبيض، يقال: أبيض يقق، وأبيض لهق، وأبيض لياح. كما أنها تطلق على الأشياء البيضاء، دون ذكر كلمة أبيض أو نحوها. فمثلما يقال: أبيض يقق، يطلق على جمارة النخل: يقق؛ لبياضها. وكذا مثلما يقال: أبيض لهق، يقال: بعير لهق. ومثلما يقال: أبيض لياح، يطلق على الصبح، وكذا الثور الوحشي: لياح؛ لبياضهما.

ويطلق على هذه الألفاظ في الدراسات الحديثة مصطلح (الألفاظ الثانوية للألوان)[١] وقد سبق ابن سيده إلى بيان وجود هذا النوع في ألفاظ العربية، قائلًا عن الألوان الثلاثة: «الأبيض والأحمر والأسود، ولهذه الأنواع الثلاثة في اللسان العربية أسماء مستعملة قريبة، وأُخَرُ بالإضافة إليها وحشية غريبة، لا تدور في اللغة مدارها، ولا تستمر استمرارها.

ألا ترى أنَّ قولنا: أبيض وأحمر وأسود من اللفظ المشهور، وقد تداولته ألسنة الجمهور، وقولنا في الأبيض: ناصع، وفي الأحمر: قُمُدٌ، وفي الأسود: غِرْبيب من الأفراد التي رُفِعت عن الابتذال، وأُودِعَت صِوَانًا في قلة الاستعمال، مع أنك لا تجدها في غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة. يقولون: أبيض ناصع، وأحمر قمد، وأسود غربيب. وإن كان قد يستعمل مفردًا كقوله[٢]:

* بِالحَقِّ الذِي هُو نَاصِعُ*

(١) اللغة واللون (٤٣) د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب– القاهرة، ط ثانية ١٩٩٧م

(٢) النابغة الذبياني، بدايته:

- أتاكَ بِقَولٍ هلهلِ النَّسجِ، كاذبٍ ولم يأتِ.....*

[من الطويل]

في ديوانه (٥٥) شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية– بيروت، ط ثالثة ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

و:* يُعصَرُ منها مَلاحِيٌّ وغِرْبيبُ*[١]» [٢]

ومن الأمور التي دعت النَّمَرِيّ إلى الجمع بين هذه الثلاثة – بالإضافة إلى ما سبق بيانه– اشتراكُها في عدم وجود فعلٍ لكل منها، كما ورد في كلامه.

ومن الأمثلة– أيضًا– التي سوَّى النَّمَرِيّ بينها في المعنى العام:

- أبيضُ وابِصٌ ووبَّاص، ودُلَمِصٌ ودُلامِصٌ ودُمَلِصٌ ودُمالِصٌ، وبَرَّاقٌ، فقال: «.. فهذه أيضا كلها سواء، ومعناها البريق.»[٣]
- أبيض خالصٌ وناصع وهِبرزِي وصريح «..هذا كله سواء، ومعناه: الخُلوص.» [٤]

٢. الأغر– الجون:

قال النَّمَرِيّ: « قالت الخنساء[٥]:

[من البسيط]

أغَـرُّ أبلَـجُ تَـأتَمُّ الهُـدَاةُ بِـه كَأَنَّـه عَلَـمٌ فِـي رأسِـه نَـارُ

(١) عجز بيت لعبد الله الغامدي، في أساس البلاغة مادة (ص.ل.ب) [٥٥٤/١] وصدره:

- ومِن تَعاجيبِ خلق اللهِ غاطِيَةٌ*

[من البسيط]

(٢) المخصص (٢٠٣/١) الملاحي: نوع من العنب أبيض.

(٣) الملمع (١٤)

(٤) السابق (١٧)، ومن أمثلة التسوية أيضا: حر وهجان قال: ((فهذن متساويان، ومعناهما الكرم)) ص ١٩، وأبلج وواضح قال: ((فهذان متساويان، ومعناهما الوضوح)) ص ٢٢، وأزهر ومشرق قال: ((فهذان سواء، ومعناهما الضياء) ص (٢٦)، وقوله بعد ذكر صفات السواد كحالك وحانك وغربيب : ((.. فهذا كله سواء، وهو للمبالغة.)) ص (٥٩).

(٥) شرح ديوان الخنساء (٣٨٦)، شرح: أبو العباس ثعلب، تح. د.أنور أبو سويلم، دار عمار، ط أولى ١٤٠٩ه– ١٩٨٨م.

والأغر والجون واحد. وتسمى الشمس جونةً؛ لبياضها.. ويسمى النهار جونًا؛ لبياضه.. والجون أيضًا الأسود، وهو من الأضداد.»[١]

ومن الملاحظ أن النَّمَرِيّ استدعى كلمة (الجون) لورود كلمة أخرى قريبة المعنى منها هي (الأغر) الواردة في بيت الخنساء، مما يظهر العلاقة القوية الكامنة – في عقله– بين اللفظين، للدرجة التي تدعو إلى هذا الاستدعاء، بل تجعله يصف معنى الكلمتين بأنه واحدٌ، ولكن هل يقصد بذلك الترادف التام بينهما كما يوحي ظاهر هذا الوصف؟

أرى أنَّ هذا التوحُّد ينصب على المعنى العام الجامع بينهما، المتمثل في دلالتهما على اللون الأبيض المتحقق في كل منهما، فقد أورد صاحب العين أن «الأغر: الأبيض.»[٢]، وذكر صاحب القاموس أن «الأغر: الأبيض من كل شيء.»[٣] وكذلك ذكروا أن الأبيض أحد معنييْ الجون، فقال ابن فارس:« والجون عند أهل اللغة قاطبة اسم يقع على الأسود والأبيض.»[٤]

لكنّ ذلك لا يعني ترادف (الأغر والجون) ترادفًا تامًّا؛ لاختلاف الموصوف بكل منهما، ولاشك أن اختلاف هذه الموصوفات سواءً أكان الوجه أم جبهة الفرس الموصوف بها الأغر. أم الشمس، والنهار، والخيل، والإبل الموصوف بها الجون، يوازيه اختلاف في دلالة اللفظين نفسهما، بل يعتبر اختلاف الموصوف من الملامح الفارقة بينهما.

(١) الملمع (٢٨)

(٢) العين (غ. ر. ر) [٣٤٥/٤].

(٣) القاموس المحيط (غ. ر. ر) [٤٤٩]

(٤) مقاييس اللغة (ج. و. ن) [٤٩٦/١]

ومما يقوى ذلك- أيضًا- أن هذا التوحد بين اللفظين وقع بين معنى واحدٍ من المعاني المتعددة للفظ (الجون) وهو البياض، ولو كانا مترادفين ترادفًا تامًّا، لأُطلق (الأغر) على اللونين الأبيض والأسود، مثلما يطلق (الجون) عليهما، وهو ما لم يقله أحدٌ.

٣. الحُرُّ- الأَيْم- الأَيْن:

قال النَّمَرِيّ: «فإذا كانت الحية أبيضَ فهو الحُرُّ. قال أبو حاتم: الحُرُّ حية أبيض مثل الجانِّ، والجانُ في هذه الصفة وأهل الحجاز يسمونه الأَيْم، وبنو تميم تسميه الأَيْن، وأصله التشديد. قال الهذلي:

[من السريع]

عِينٌ عَليهنّ كِنانيةٌ جَاريةٌ كالرَّشأِ الأكْحَلِ

كالأَيْم ذي الطُّرّة أو نَاشئ ال بَرديِّ وسْط الحَفَأ المُغْيلِ» (١)

اعتمد النَّمَرِيّ على الدلالة على اللون الأبيض في الربط بين ثلاث كلمات تدل على الحيَّة، وهي: الحُرُّ، والأيم، والأين.

لكنّ أصحاب المعاجم وكتب اللغة قيدوا اللفظ الأولَ بولد الحية، أورد الأزهري عن الليث: « الحُرُّ: ولد الحية اللطيفة، في قول الطرماح:

[من الرمل]

مُنطَوٍ في جَوفِ نَامُوسِه كانطِواءِ الحُرِّ بَينَ السِّلَام(٢)

---

(١) الملمع (٤٧)

(٢) ديوانه (٢٤٢) تح. د. عزة حسن، دار الشرق العربي- بيروت، ط ثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، وصدره فيه: * مُنطَوٍ في مُستَوى رُجبَةٍ*

يتحدث عن ذئب انطوى في مكان أعده للصيد، وهو الناموس. السِّلام: الحجارة.

وقال شمر: الحُرُّ، زعموا أنه الأبيض.)) [١] وقال الجوهري: ((والحُرُّ: فرخ الحمام، وولد الظبية، وولد الحية أيضًا.)) [٢] دون أن يحدد لونه.

وهكذا فإن مِن العلماء مَن زعم أن الحُرَّ هو ((الأبيض من الحيات، وعمَّ بعضُهم به الحية.))[٣] أي دون تحديد لونها بالأبيض.

وأمَّا لفظا (الأيم والأين) فقد ذكر العلماء أنهما يطلقان على الحية نفسِها، لا ولدِها، يقول أبو عبيد: ((والأيم والأين جميعا: الحية.)) [٤] واختلفوا – أيضًا– في نوع الحية التي يطلق عليها هذان اللفظان، ما بين إطلاقهما على المذكر منها، في مثل قول ابن السكيت: ((الأين والأيم: الذكر من الحيات.)) [٥]، وإطلاقهما على النوعين من مثل ما أورده الأزهري بقوله: ((وقال ابن شميل: كلُّ حيةٍ أيم، ذكرًا كانت أو أنثى.))[٦]

ويتضح مما سبق أنَّ بين (الحُرّ) من جانبٍ (والأيم والأين) من جانبٍ آخر فرقًا دلاليًّا، فلا ترادفَ تامًّا بين الجانبين، فمع اتفاقهما في المعنى العام المتمثل في إطلاقها على أنواع من الثعابين؛ إلا أنَّ بين الجانبين ملمحًا دلاليًّا فارقًا، يتمثل

(١) تهذيب اللغة (ح. ر) [٤٣١/٣]، وينظر: مقاييس اللغة (ح. ر)[٦/٢]، والقاموس المحيط (ح.ر.ر) [٣٧٤] وتاج العروس (ح.ر.ر) [٥٧٤/١٠]

(٢) الملمع

(٣) تاج العروس (ح. ر. ر) [٥٧٤/١٠]

(٤) الغريب المصنف (٣٣١/١) لأبي عبيد القاسم بن سلام، تح: د. محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط ثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٥) تهذيب اللغة (أ. ي. ن) [٥٥١/١٥]

(٦) السابق (آ.م) [٦٢١/١٥]

في أنَّ اللفظ الأول يُطلق على ولد الحية المتصف عند بعضهم بالبياض، بينما يطلق اللفظان الآخران على الحية نفسها.

أمَّا (الأيم والأين) فهما لفظان مترادفان، والسبب في هذا الترادف هو اختلاف اللهجات، فالأولى لأهل الحجاز بينما يطلق التميميون على المفهوم نفسه اللفظ الثاني، وقد حدث بينهما إبدال؛ لذا ذكرهما أبو الطيب اللغوي وابن السكيت في كتابيهما ضمن (الإبدال بين الميم والنون).[١]

ويذكر ابنُ فارس أن الأصلَ الميمُ، في قوله: ((وأمَّا الحية التي تُدعى (الأين) فذلك إبدالٌ، والأصل الميم. قال شاعر[٢]: [من البسيط]

يَسْري على الأَيْنِ والحَيَّات مُحتفيًا نَفسِي فِدَاؤكَ مِن سَارٍ على سَاقِ[٣])) [٤]

ومسوغ الإبدال بين الصوتين، أن كليهما صوتٌ أنفيٌّ، مجهورٌ، أغنُ.

ولذا فقد ورد الإبدال بينهما في كثيرٍ من الكلمات، ومنها ما أورده ابن السكيت من قوله: ((وقال أبو عمرو: الدِّمْدِم: الصِّلِّيَّان المُحِيل في لغة أسد، وهو بلغة تميم الدندن))[٥]

---

(١) ينظر: كتاب الإبدال (٤٣٤/٢) لأبي الطيب اللغوي، تح. عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٣٨٠ه- ١٩٦١، والإبدال والقلب (١٧) ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي، نشره وعلق عليه: د. أوغست هفنر، ط. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت- ١٩٠٣م.

(٢) تأبط شرًّا ينظر ديوانه وأخباره (١٢٧) جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط أولى ١٤٠٤ه - ١٩٨٤م.

(٣) محتفيا: حافيا. ساق: مشقة وتعب.

(٤) مقاييس اللغة (أ.ي.ن) [١٦٧/١]، وينظر: تاج العروس (أ. ي. ن) [٢٢١/٣٤]

(٥) الإبدال والقلب (٢٢)

وأصالة الميم في كلمة (الأيم) مما قررتُه بعضُ الدراسات اللهجية الحديثة، يقول د. ضاحي عبد الباقي بعد أن ذكر عدة أمثلة للإبدال بين النون والميم: ((الميم في هذه الكلمات قلبت نونًا، وإذا نظرنا – أيضًا– إلى ما ذكرناه من ألفاظ وردتْ في اللغات السامية، وجدنا العربية تنفرد بالنون وغيرها بالميم؛ مما يجعلنا نحكم بأنَّ النون هي المتطورة.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك ما قرره (بروكلمان) من أنَّ اللغة العربية قد تحولت فيها الميم الواقعة في الطرف أصلًا إلى نونٍ، إلا إذا كان الاحتفاظ بها طردًا للباب على وتيرة واحدة.. وإذا كانت الكلمة المعروضة تنتهي الصيغة التميمية فيها بالنون وغير التميمية بالميم؛ فإن هذا يجعلنا نميل إلى حداثة الصيغة التميمية وتطورها عن الأخرى.)) [١]

ولعل ذلك الكلام مما يرد على ادعاء أصالة النون فيما كان الإبدال فيه بين النون والميم على عمومه، يقول أحد الباحثين المحدثين بعد أن ذكر عددًا من النصوص: ((.. من سرد هذه النصوص يظهر أن النون هي التي تتحول إلى ميم، وهذا يعني تحول الصوت اللثوي الأنفي إلى الصوت الشفوي الأنفي. وهذان الصوتان مما يطلق عليه اسم الأصوات المتوسطة وهي التي يحصل لمجراها غلق من جهة والسماح للهواء بالمرور من جهة أخرى، لذلك فإنه إذا وجدت كلمتان بمعنى واحدٍ ومتساويتان في عدد الحروف وترتيبها ولا يختلفان إلا بأن تكون

(١) لغة تميم دراسة تاريخية وصفية (١١٥/١) د. ضاحي عبد الباقي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م، وينظر: فقه اللغات السامية (٥١)، واللهجات العربية في التراث (٤٣٨/٢، ٤٣٩)، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م

إحداهما مشتملة على النون والأخرى على الميم فإن المشتملة على النون هي الأصلية والمشتملة على الميم هي الفرعية))[١]

ولعلنا لا نستطيع قبول هذا الكلام على إطلاقه، لصراحة نصِّ ابن فارس في ذلك كما سبق وأوردنا، واعتمادًا على تعليل كل من د. ضاحي وبروكلمان، وكذلك لما أورده أبو الطيب اللغوي في قوله: ((المرش والنرش: التناول بأطراف الأصابع كالقَرْص، يقال: مَرَشَه يَمْرُشُه مَرشًا، ونَرَشَه يَنْرُشُه نَرشًا، وهو بالنون غير ثَبْتٍ؛ لأنه ليس في كلامهم نون بعدها راء إلا أن يكون مُعرَّبًا، نحو: النرد والنرجس.)) [٢] مما يدل على أصالة الميم في بعض الكلمات عند وجود النون في موضعها.

٤. الرَّند- الآس:

قال النَّمَرِيّ: ((قال ابن الدُّمينَة [٣]: [من الطويل]

أَنِن هَتَفتْ وَرقاءُ في رَونَق الضُّحي على فَنَن غَضِّ النَّبات من الرَّندِ

الرَّنْد: الآس أو مثله.)) [٤]

يبدو لي أن النَّمَرِيّ جَمَعَ في هذا المثال وجهين للعلاقة بين (الرند) و(الآس)، ففسر أحدهما بالآخر؛ مما قد يوحي بترادفهما. كما ذكر ما يدل على تقاربهما دلاليًّا، وهو ما عبَّر عنه بـ (المِثل).

---

(١) إبدال الحروف في اللهجات العربية (٣٤٢، ٣٤٣) د. سلمان بن سالم السحيمي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ط أولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢) كتاب الإبدال (٢/٤٤٠)

(٣) ديوان ابن الدمينة (٨٥)، صنعه: أبو العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تح. أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.

(٤) الملمع (٧٣)

وهو بذلك يجمع بين الرأيين السائدين بين العلماء في العلاقة بين الكلمتين؛ فمن العلماء مَن يذهب إلى أنهما بمعنى واحدٍ، وقد ((روى أبو عمرو عن أبي العباس أحمد بن يحيى أنه قال: الرند: الآس عند جماعة أهل اللغة)) [١] وأورد ابن فارس عن الخليل قوله: ((الرند ضرب من الشجر، يقال هو: الآس.)) [٢]

ومنهم من يذهب إلى أنهما مختلفا المعنى، فقد روى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنَّ: ((الرند شجر طيّب من شجر البادية، وأنكر أن يكون الرندُ الآسَ. قال: وربما سموا عود الطيب رندًا، يعني العود الذي يُتبخر به.)) [٣]

وكذلك أنكر هذا الترادفَ الأصمعيُّ فيما رواه عنه أبو عبيد، كما ورد في (المقاييس) [٤] وكذلك الدينوري فيما أورده عنه الأزهريُّ، في قوله: ((للأسي برمة بيضاء، طيبة الريح، وثمرة تسود إذا أينعت، وتسمى القصبة، قال: وينبت في السهل والجبل، وتسمو حتى تكون شجرًا عظامًا، وأنشد: [من البسيط]

بِمُشْمَخِرٍّ بِه الظَّيَّانُ والآسُ [٥]

والرند غير الأسي.)) [٦]

---

(١) تهذيب اللغة (ر. ن. د) [٩٤/١٤]

(٢) مقاييس اللغة (ر. ن. د) [٤٤٤/٢]

(٣) الغريب المصنف (٤٢٢/٢) وينظر: التهديب (ر. ن. د)

(٤) مقاييس اللغة (ر. ن. د) [٤٤٤/٢]

(٥) عجز بيت لمالك بن خالد الخناعي الهذلي، في ديوان الهذليين (٢/٣). وصدره:

* والخنس لا يعجز الأيام ذو حيد *

الخنس: الوعول. الظيان: ياسمين البَرِّ.

(٦) تهذيب اللغة (أ. و. س) [١٣٩/١٣]

ويبدو أنَّ الرند غير الآس، وأن ما يجمع بينهما هو المعنى العام؛ من حيث دلالتهما على شجرٍ ذي رائحة طيبةٍ، أو يؤخذ منهما الطيب.

ولعل النَّمَرِيّ أراد أن يجمع بين ما ذهب إليه العلماء في العلاقة بين الكلمتين، فلا هو ينفي إمكانية الترادف بينهما، وهو ما قد يدل عليه قوله: (الرند: الآس)، ولا هو يقول بهذا الترادف، ويدل عليه قوله: (.. أو مثله).

لكننا قد نأخذ من هذا ضمنًا أنه لا ينفي وقوع الترادف بين بعض الألفاظ، بدليل إقرار رأي مَن قال بالترادف بين (الرند) و (الآس)، كإقراره الرأي الآخر سواءً بسواءٍ.

تعقيب على نماذج الترادف:

من خلال النماذج السابقة يمكن القول:

- إن النَّمَرِيّ لم ينص على الترادف بين الكلمات التي أوردها صراحةً، وإنما قد يُشتم ذلك من بعض تعبيراته، كالتسوية بين بعض الكلمات، والنص على أنها بمعنى واحد.. إلخ.
- إن النَّمَرِيّ لا يقصد من جمعه بين الكلمات التي ذكرها في عباراته القولَ بالترادف، وإنما قد يقصد أنَّ ما يجمعها هو المعنى العام لها، دون النظر إلى ما بينها من ملامح دلاليَّةٍ فارقةٍ.

وما يؤكد ذلك اختلاف الموصوفات بهذه الكلمات المتعددة، واختلاف درجاتها اللونية؛ تبعًا لذلك. وهو ما لاحظتُه في العلاقة بين: (اليقق، واللهق، والليلاح) في الدلالة على شدة اللون الأبيض.

كما يؤكده الجمع بين ألفاظٍ ليست مترادفةً في الإطلاق ترادفًا تامًّا، كإيراده (الأغر والجون)؛ ذلك أنه لو كان بينهما هذا الترادف؛ لأطلق الأغر على

اللونين الأبيض والأسود، كما يطلق (الجون)، ولكنّ اتفاقهما انصب على لونٍ واحدٍ، هو الأبيض.

وكذلك في بعض الكلمات التي أوردها اختلافٌ في النوع كإطلاق (الحُرّ) على ولد الحية، بينما يُطلق (الأيم والأين) عليها هي نفسها.

- لكننا لاحظنا ما يمكن اعتباره ترادفًا بين بعض النماذج التي أوردها، كالعلاقة بين (الأيم والأين) في الدلالة على الحيَّة، فهما مترادفتان، وسبب الترادف فيهما هو اختلاف اللهجات.

كما أن تفسيره الرند بالآس ونصُّه بعد ذلك على أنه قد يكون (مثله)، اعترافٌ من ناحيةٍ بالترادف بين اللفظين، وذكره الرأي القائل بالتفريق من ناحية أخرى، تقتضي المثلية وليست المطابقة.

ثانياً- الفروق الدلاليَّة:

لقد كان النَّمَرِيّ كغيره من اللغويين الأوائل على وعي بالفروق الدلاليَّة بين الكلمات ودلالاتها. وإذا كانت فكرة الفروق تقوم على وجود كلمتين: (طرف أول- طرف ثان) وكذلك معنيين متقاربين لا متحدين؛ لأن اتحادهما يؤدي إلى القول بالترادف بين الكلمات، فإن النَّمَرِيّ قد اعتمد في بعض النماذج على ذكر هاتين الكلمتين المُفرَّق بينهما في موضعٍ واحدٍ.

كما أن هناك نماذج ذَكَر فيها الشيءَ الواحد الموصوف بأوصافٍ متعددةٍ، في مواضعَ متعددةٍ، فالتعدد فيها لاسم اللون فقط. وهناك مواضع يتحدث فيها عن اختلاف أسماء الموصوفات باللون الواحد، فالتعدد هنا للموصوفات ولأسمائها في الآن نفسه.

وهذه نماذج للأنماط الثلاثة السابق ذكرها:

النمط الأول- ما ذَكَرَ فيه الكلمتين المفرَّق بينهما في موضعٍ واحدٍ:

١. الرُّثمَة- الألمظ:

قال النَّمَرِيّ: ((.. وقال عنترة العبسي[١]: [من الكامل]

وكأنما التفتتْ بجِيدِ جَدايَةٍ رَشَأٍ من الغزلان حُرٍّ أَرْثَمِ[٢]

الرُّثمة: بياض في الجحفلة العليا. فإذا كان في السفلى فهو ألمظ)) [٣]

فرَّق النَّمَرِيّ بين كلمتيْ: (الرثمة- اللمظة)، فكلٌّ منهما بياضٌ في جحفلة الفرس، ((والجحلفة من ذوات الحافر بمنزلة الشفة من الإنسان.)) [٤]

ومعيار هذا التفريق هو موضع البياض ما بين الجحفلتين، فقيَّد الرثمة بالعليا، واللمظة بالسفلى.

وإلى ذلك ذهب كثيرٌ من اللغويين، ومنه ما أورده الأزهري عن أبي عبيدة[٥]:((في شيات الفرس: إذا كان بجحفلة الفرس العليا بياضٌ فهو أرثم،

---

(١) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي (١٨٠) قدم لهووضع هوامشه وفهارسه: مجيد الطراد، دار الكتاب العربي- بيروت، ط أولى، ١٤١٢ه- ١٩٩٢م.

(٢) الجداية: ولد الظبية. الرشأ: ولد الطبية إذا قوى وتحرك.

(٣) الملمع (١٨)

(٤) كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية (٢٦)، لابن الأجدابي الطرابلسي، مكتبة المحمودية، مصححة على النسخة المطبوعة سنة ١٢٨٧ه في مطبعة وادي النيل.

(٥) في التهذيب عن أبي عبيد، والصحيح أنه أبو عبيدة، فلم أعثر على ذكر لذلك في (الغريب المصنف)، كما اعتمدتُ في هذا التصحيح - أيضًا- على ما ورد في تاج العروس (ر. ث. م). [٣٢/٢١٦]

وإن كان بالسفلى بياضٌ فهو ألمظ، وهي الرُّثمة واللُّمظة.)) [١]

لكن يبدو أنَّ هذا التحديد ليس موضع اتفاق بين العلماء، ففيما يخص (الرثم) فقد جعله بعضهم للبياض في أنف الفرس لا جحفلته، يقول صاحب العين: ((الرثم: بياض على أنف الفرس، ورثم فهو أرثم.)) [٢] وقيده بعضهم بطرف أنف الفرس، فقد أورد الفيروزآبادي: ((الرثمة: بياض في طرف أنف الفرس.)) [٣]

وفي حين اشترط الصاحبُ بن عبَّاد عدمَ مجاوزة البياض للجحفلة في الوصف باللمظ في قوله: ((والألمظ: الفرس الذي في جحفلته بياض لا يجاوز مَضَمِّ الجحفلة.)) [٤] فقد جمع بعضُهم في الوصف بالرثمة بين الأنف والجحفلة، ففي القاموس: أنه ((كل بياض قلّ أو كثر إذا أصاب الجحفلة العليا فبلغ المرسن.)) [٥]

---

(١) تهذيب اللغة (ر. ث. م) [٨٦/١٥] و(ل. م. ظ) [٣٨٨/١٤]، وينظر: الصحاح (ر. ث. م) [١٩٢٧/٥] و(ل. م. ظ) [١١٨٠/٣] ، ومقاييس اللغة (ر. ث. م) [٤٨٨/٢] و(ل. م. ظ) [٢١٠/٥، ٢١١] ، والقاموس المحيط (ر. ث. م) [١١١١] و(ل. م. ظ) [٦٩٨] ، وتاج العروس (ر. ث. م) [٢١٦/٣٢] و(ل. م. ظ) [٢٠/ ٢٧٧]، ومبادئ اللغة (٢٠٢)، وكفاية المتحفظ (٢٦)، وفقه اللغة (١٢٧).

(٢) العين (ر. ث. م) [٢٢٥/٨]، وينظر: القاموس المحيط (ر. ث. م) [١١١١]، وتاج العروس (ر. ث. م).[٢١٦/٣٢]

(٣) القاموس المحيط (ر. ث. م) [١١١١]

(٤) المحيط في اللغة (ل. م. ظ) [٣٠/١٠]، للصاحب بن عباد، تح. محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط أولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٥) القاموس المحيط (ر. ث. م) [١١١١]

وقد خصَّ صاحب العين هذه المجاوزة – فيما بدا لي من نصِّه– باللمظ، وذلك في قوله:((واللمظ: البياض في جحلفة الفرس، فإذا جاوز إلى الأنف فهو أرثم.)) (١)

فيبدو لي أنه يقصد بالجحفلة هنا العليا– خصوصًا أنه يقيد الرثم بالأنف كما في نصِّه السابق– وإلا فإنه إن كان يقصد بها السفلى فإن المجاوزة هنا ستكون للعليا والأنف، وهو ما لم يقله.

وفيما يخص اللمظ فقد قيَّده بعضُهم بالجحفلة السفلى – كما ورد من قبل– ومنهم ما لم يقيده بإحدى الجحفلتين كصاحب (العين)، ومثله ابن فارس في قوله: ((واللمظة بالفرس: بياض يكون بإحدى جحفلتيه.)) (٢) بل جعله بعضُهم في أطراف الجحفلتين، فقد أورد الأصمعي: ((إذا كان بأطراف جحفلتيه شيءٌ من البياض فهو ألمظ، وفرس لَمظاء.)) (٣)

وواضح أن الفروق الدلالية بين اللفظين تكمن في اختلافَ المواضع الموصوفة بالبياض فيهما؛ فالرثمة مختصة بجحفلة الفرس أو أنفه، بينما لا تتقيد دلالة اللمظة بهما بل تتعداهما إلى الشفتين أو يد الفرس أو رجله، فمما ورد: ((.. أو اللمظة: البياض في الشفتين فقط..)) (٤) و((اللمظة – أيضا– هُنَيةٌ من البياض بيد الفرس أو برجله على الأشعَر.)) (٥)

(١) العين (ل. م. ظ) [١٦٤/٨]
(٢) مقاييس اللغة (ل. م. ظ) [٢١١/٥]
(٣) الخيل (٧٥) للأصمعي، تح: حاتم الضامن، دار البشائر، ٢٠٠٣م.
(٤) التاج (ل. م. ظ)
(٥) المحيط في اللغة (ل. م. ظ) [٣٠/١٠]

٢. مُحلِس/ مستحلس- نُفأ:

قال النَّمَرِيّ: ((فإذا كانت الأرض خضراء فهي محلسة ومستحلسة. فإذا تفرقت الخضرة هاهنا وهاهنا فهي نُفَأ.)) [١]

اعتمد النَّمَرِيّ على معيار اجتماع الخضرة وتفرقها في التفريق بين (محلس/ مستحلس) في دلالتهما على اجتماع الخضرة وانتشارها في الأرض، و(النُّفأ) في دلالتها على تفرق هذه الخضرة.

وإلى هذا التفريق ذهب كثيرٌ من العلماء، يقول صاحب العين: ((وعشب مستحلس ترى له طرائق بعضها فوق بعض؛ لتراكمه وسواده.)) [٢] وأورد الأزهري:((وأرض محلسة: إذا اخضرت كلها.)) [٣] بينما أورد ((عن الأصمعي: النفأ من النبت: القطع المتفرقة.)) [٤]

ويمكن الاعتماد في بيان هذا التفريق على معنى مادتيْ الكلمتين، فـ((الحاء والسين واللام أصل واحد، وهو الشيء يلزم الشيء، فالحِلس حِلسُ البعير، وهو ما يكون تحت البرذعة.. واستحلس النبت إذا غطى الأرض، وذلك أن يكون لها كالحِلس.)) [٥]

فمعنى المادة التي تنتمي إليها كلمة (محلس) هو الملازمة، كملازمة الحلس للبعير، ومنه كذلك: ((واستحلس فلان الخوفَ إذا لم يفارقه الخوف

(١) الملمع (١٠٢)

(٢) العين (ح. ل. س) [١٤٢/٣]

(٣) تهذيب اللغة (ح. ل. س) [٣١٢/٤]، وينظر: الصحاح (ح. ل. س) [٩١٩/٣]

(٤) السابق (ن. ف. أ)

(٥) مقاييس اللغة (ح. ل. س) [٩٧/٢]

ولم يأمن.)) [١] لما فيه من الملازمة، ويؤصل ابن فارس إطلاق الاستحلاس على النبات الذي يغطي الأرض بتشبيهه بالحلس الذي يغطي ظهر البعير، في قوله: ((وذلك أن يكون لها كالحِلس))، في حين أن ((النون والفاء والحرف المعتل أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه.. والمهموز منه كلمة واحدة، هي النفأ: قطع من الكلأ متفرقة من عُظْم الكلأ.)) [٢]

فمعنى المادة الذي هو الإبعاد وعدم الملازمة متغلغلٌ في معنى كلمة (النفأ)، لكنه مقصورٌ فيها على إبعاد النبات بعضه عن بعض.

وهناك مواضع من الفروق شبيهة بهذين المثالين، منها:

- قول النَّمَرِيّ: ((..ويقال: الآرام ضأن الظباء، والعفر معزاها، والأدم إبلها)) [٣]
- وقوله: ((القرحة بياض في جبين الفرس كالدرهم. فإذا زاد على ذلك فهو غُرَّة. والمغد: أن لا يكون في وجه الفرس قرحة، فينتف الشعر، فيخرج أبيض.)) [٤]

النمط الثاني- ما ذَكَرَ فيه الشيء الواحد الموصوف بأوصاف متعددة، في مواضع متعددة، وهو ما نجده في حديثه عن: الفرس، والجمل، والنعجة وغيرها.

(١) تهذيب اللغة (ح. ل. س) [٣١٣/٤]
(٢) مقاييس اللغة (ن. ف. أ) [٤٥٦/٥]
(٣) الملمع (٤٦)
(٤) السابق (٥٩)

ففي حديثه عن الفرس أورد في:

- (ذِكرُ البياض) قوله: ((فإذا كان الفرس أبيض فهو مُغرَب... المغرب الذي ينظر في بياض)) [١]
- (ذِكرُ السواد) قوله: ((فإذا كان الفرس أسود فهو أدهم.)) [٢]
- (باب الحمرة) قوله: ((فإذا كان الفرس أحمر فهو أشقر)) [٣]

فهنا كلماتٌ ثلاث: (مُغرَب- أدهم- أشقر) متقاربة الدلالة، وتأتَّى تقاربُها من دلالتها على موصوفٍ واحدٍ، هو الفرس، لكنّ هناك فروقًا دلاليَّةً ناشئةً عن اختلاف اللون، تبعها اختلاف في تسمياته المتعددة، فهو مُغرَب عند البيـــاض، وأدهم عند السواد، وأشقر عند اتصافه بالحمرة.

وفي حديثه عن الجمل والناقة أورد في:

- (ذكر البياض) قوله: ((فإذا كان الجمل أبيض فهو حَضار.)) [٤]
- (ذكر السواد) قوله: ((فإذا كان الجمل أسود فهو جون.)) [٥]
- (باب الحمرة) قوله: ((فإذا كانت الناقة حمراء فهي كميت)) [٦]

فهنا ثلاث كلمات أيضًا: (حضار- جون- كميت) متقاربة الدلالة، وتأتَّى تقاربُها من دلالتها على موصوفٍ واحدٍ، هو الجمل/ الناقة، لكنّ هناك فروقًـــا دلاليَّـــةً ناشئةً عن اختلاف اللون، تبعها اختلاف في تسمياته المتعددة، فهو حضار عند

(١) مقاييس اللغة (٣٦، ٣٧)
(٢) الملمع (٧٢)
(٣) السابق (٩١)
(٤) السابق (٤٠)
(٥) السابق (٧٢)
(٦) السابق (٩٢)

البياض، وجون عند السواد، وهي (وهو، أي الجمل كما سأوضح بعد قليل) كميت عند اتصافها بالحمرة.

لكن يبدو أنَّ ذِكْر النَّمَرِيّ لهذه التحديدات يعتمد على الانتقاء والتجاوز أحيانًا، وبيان ذلك على النحو التالي:

أوَّلًا- في كلمة (مُغرَب) ملاحظتان:

الأولى- أنَّه لا يتصف بهذه الكلمة الأبيضُ من الخيل فقط - كما ورد في النص السابق- يقول صاحب العين: ((والمُغرَب: الأبيض الأشفار من كل صنف))[١] وقد نص النَّمَرِيّ نفسه على ذلك في موضع سابق بقوله: ((وأبيض مُغرَب: وهو الذي يبيض سائر شعره وبشره، وهو كثير في الناس والخيل.)) [٢]

الثانية- لا تكون هذه الصفة للفرس الأبيض بوجه عام، وإنما البياض هنا جزئي يتعلق بأشفار الخيل، لا كلها كما يوحي كلام النَّمَرِيّ. بدليل كلام صاحب العين السابق، وكذا قول الأصمعي: ((وفي الألوان: الإغراب، وليس بناصع الحمرة، فإذا ابيضت الأرفاغ وهي أصول الفخذين مما يلي الخاصرة، والمحاجر والأشفار، فهو مُغرَب.)) [٣] فهذا تحديد للبياض بمواضع معينة.

ثانيًا- كلمة (أدهم) أيضًا تطلق على غير الفرس الأسود، فمما أورد الأصمعي أن الجمل إذا خالط بياضَه سوادٌ، وكان السواد أغلبه ((فتلك الوُرقَة، وهي

(١) العين (غ. ر. ب) [٤/٤١١]
(٢) الملمع (٢٦)
(٣) الخيل (٧٣)

أَلْأَمُ الألوان.. فإذا اشتدتْ ورقته حتى يذهب البياض، فهو أدهم.)) [١]

وأورد الجوهري:((والدهمة: السواد، يقال: فرس أدهم، وبعير أدهم.)) [٢] فوصف بها الجمل أيضًا.

ثالثًا- في كلمة (كُمَيت) ملاحظتان:

الأولى- في تقييده الكميت بالناقة تجاوزٌ؛ حيث يوصف الجمل بـ(كميت) أيضًا، ففي المخصص ((فإن خالط حمرته قُنُوء فهو كميت، والناقة كميت)) [٣]، فهل كان النَّمَرِيّ قاصدًا إلى ذكر هذا الوصف للناقة دون الجمل؟

يبدو لي ذلك؛ لأنه ذكر لون الجمل عند (ذِكر البياض) و(ذِكر السواد)، واتساقًا مع طريقته كان الأولى أن يذكر اللون له في الحمرة أيضًا، إلا أنه عدل عن ذلك إلى وصف مؤنثه.

كما أنه في الحديث عن (الحَضار) أطلقه على الجنسين، قائلًا: ((فإذا كان الجمل أبيض فهو حَضارِ- مبني على الكسر- والذكر والأنثى فيه سواء)) [٤] وهو لم يفعله في (الكميت)، مع دلالته على الجنسين أيضًا.

الثانية- لا يتقيد هذا الوصف بالإبل فقط، فقد أورده الأصمعي في ألوان الخيل[٥]، وكذا الخمر؛ فقد أورد النَّمَرِيّ نفسه أنه إذا ((كانت الخمرة حمراء فهي كميت..))[٦]

---

(١) كتاب الإبل (١٤٦) للأصمعي، تح: د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ٢٠٠٣م.

(٢) الصحاح (د. ه. م) [١٩٢٤/٥]

(٣) المخصص (١٥٦/٢)

(٤) الملمع (٤٠)

(٥) ينظر: الخيل (٧٢)

(٦) الملمع (٩٦)

رابعًا- كلمة (جون) في إطلاقه على الجمل إذا كان أسود جونًا تعميمٌ أيضًا، من حيث إنه يُطلَق على شدة السواد فيه لا مطلقه، فبعد أن ذكر الأصمعيُّ الوصف بالدهمة في الإبل – وهو سوادٌ أيضًا- قال:((فإذا اشتد السواد عن ذلك، فهو جون، وناقة جونة.)) [١] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن (الجون) في السواد لا يقف عند الإبل فقط، فقد ذكر النَّمَرِيّ نفسُه أنَّ السحاب الأسود يُطلق عليه (جونًا)[٢]

النمط الثالث- أما المواضع التي يتحدث فيها عن اختلاف أسماء الموصوفات باللون الواحد، وذلك فيما يبدو لتعدد درجتها اللونية، أو تمييزًا لكل منها، حتى مع اشتراكها في اللون الواحد، فمنها قوله:

((فإذا كانت الكتيبة سوداء فهي جأواء، والجوءة لون صدأ الحديد.. فإذا كان الفرس أسود فهو أدهم.. فإذا كان الجمل أسود فهو جَوْن.. قال أبو عمرو الشيباني: فإذا كانت الضأن سودًا، فهي لابة تشبه بالحرَّة، فإذا كان الكبش أسود فهو أملح.. فإذا كانت العقاب سوداء فهي خدارية.. فإذا كان الحية أسود فهو حنش.. فإذا كان السحاب أسود فهو رباب.. فإذا كان الجبل أسود فهو ظَرِب.. فإذا كان الحصى أسود فهو حَرَّة..)) [٣]

ففي هذا النص فرَّق النَّمَرِيّ بين عشرٍ من الكلمات الموصوفة باللون الأسود، ومع هذا الاتفاق في الدلالة على اللون الواحد إلا أنها تختلف فيما بينها، وسبب ذلك اختلاف الموصوفات بها، مما قد يقتضي أن يُذكرَ لكل موصوف منها كلمةٌ مختلفةٌ عن أخرى يوصف بها شيء آخر، أو لعل السبب

(١) كتاب الإبل (١٤٦)

(٢) ينظر: الملمع (٧٦)

(٣) الملمع (٧١ وما بعدها)

يعود إلى تعدد درجات هذه الموصوفات اللونية، فالسواد في الكتيبة جأواء، وفي الفرس أدهم، وفي الجمل جون، وفي الضأن لابة.. إلخ.

ولاشك أن الدرجات اللونية للون الأسود تختلف باختلاف هذه الموصوفات، أو ليس فيها على درجةٍ لونيةٍ واحدةٍ، كما أنَّ هذه الموصوفات مع اشتراكها في لونٍ واحدٍ هو الأسود إلا أنها مختلفة الأنواع والأجناس، مما اقتضى معه تسمية كل منها تسميةً متميزةً.

وقد لاحظتُ أنَّ هناك علاقةً بين بعضِ الكلمات الدالة على اللون والشيء الموصوفِ بها، فمن ذلك إطلاق (الجأواء) على الكتيبة السواد، فهي التي ((يعلوها السواد؛ لكثرة الدروع.)) [١] أو أن اتصافها بالسواد جاء نتيجة أنَّ ((عليها صدأ الحديد وسواده.)) [٢] فمن الواضح ارتباط لفظ (جأواء) – وهو ما عبر عنه النَّمَرِيّ بقوله: (والجوءة لون صدأ الحديد.)– بالكتيبة الموصوفة بالسواد لتحقق ذلك بسبب صدأ الدروع، أو كثرتها التي توحي به.

من معايير التفريق الدلالي عند النَّمَرِيّ:

اعتمد النَّمَرِيّ على عدة معايير في التفريق بين معاني الألفاظ، منها:

- اختلاف الموضع الموصوف كما أوضحتُ في التفريق بين (الرثمة واللمظة).
- اجتماع الشيء أو تفرقه، كما ذكرتُ في (محلس ونفأ).
- اختلاف ألفاظ اللون الواحد باختلاف الموصوف به، ومن ذلك اللون الأسود تعددت الألفاظ الدالة عليه ما بين: جأواء وأدهم وجَوْن.. إلخ باختلاف الموصوف بها: الكتيبة والفرس والجمل.. إلخ. ولاشك أن اللون نفسه

(١) لسان العرب (ج. أ. ي) [١٤/١٢٧]

(٢) السابق (ج. و. أ) [١/٥١]

تختلف درجته باختلاف الموصوف به، فلا السواد في الكتيبة هو نفسه في الفرس أو غيره.

- اختلاف طول الأشياء، ومنه قوله: ((وفي الحرة النعل، وهي شبيهة بالنعل فيها طول وصلابة. وفيها الخف أطول من النعل، والكراع أطول من الخف، والضلع أطول من الكراع.)) [١]
- اختلاف الدرجات اللونية، فللون الواحد درجات لونية متعددة، ومن ثم كان لكثير من هذه الدرجات اللونية ألفاظٌ تعبر عن اختلافها.

وقد أشار النَّمَرِيّ إلى ذلك في مواضع عديدة، منها قوله: ((وأبيض أمقه. قال أبو رياش- رحمه الله- وهو أسوأ البياض، وهو لون الجص.)) [٢] وقوله: ((يقال: أسود حالك وحانك. وهو أشد سوادًا من حنك الغراب وحلكه..)) [٣]

- ولعل من المعايير المهمة التي ألمح إليها النَّمَرِيّ مجرد تلميح- لكني أجد لها أهمية كبيرة في التفريق بين المعاني- اختلاف اشتقاق اللفظين، ويعتمد فيه على المعنى الأصلى لمادة اللفظين وحلوله في كل منهما، وإلى مثل ذلك أشار العسكري في " الفرق بين التلاوة والقراءة.. وذلك أن أصل التلاوة من قولك: تلا الشيءُ الشيءَ يتلوه، إذا تبعه، فإن لم تكن الكلمة تتبع أختها لم تستعمل فيها التلاوة، وتستعمل فيها القراءة، لأن القراءة اسم لجنس هذا الفعل". [٤]

---

(١) الملمع (٨٢)

(٢) السابق (٢٦)

(٣) السابق (٦٠)

(٤) الفروق اللغوية (٢٢) لأبي هلال العسكري، تحقيق: عماد زكي البارون، المكتبة التوفيقية ١٤١٩هـ.

والموضع الذي أجد النَّمَرِيّ ألمح فيه إلى اختلاف الاشتقاق، قوله:((فإذا كانت الكتيبة سوداء فهي جأواء، والجوءة لون صدأ الحديد..)) فاسم اللون مأخوذ من الجوءة الذي هو صدأ الحديد، أي أنه سواد يميل إلى اللون المعروف الآن بـ (البُنِّي).

وهكذا، فإن التفريق بين المعاني المتقاربة اعتمادًا على معايير معينةٍ يدلنا على وعي النَّمَرِيّ بالفروق الدلالية بين الكلمات وأهميتها، خصوصًا في مجال لتحديد الدلالة فيه دورٌ كبيرٌ، كمجال الألوان، موضوع هذا الكتاب.

ثالثاً- الاشتراك اللفظي:

وردتْ أمثلة الاشتراك اللفظي في العديد من مواضع (المُلَمَّع)، وإن لم يستعمل النَّمَرِيّ مصطلح (الاشتراك اللفظي) أو ما يدل عليه، إلا أنَّه كان واعيًا بهذا الاشتراك بين بعض الألفاظ، يتضح ذلك الوعي من خلال إشارته إلى وصف المعاني بالتسوية، في مثل قوله:((فإذا كان الجمل أبيض فهو حِضارٍ- مبني على الكسر- والذَّكَرُ والأنثى فيه سواءٌ.)) [(١)] أو من خلال النقول التي أوردها عن بعض الرواة، تشتمل على مثل ذلك، كنقله عن أبي رياش كما سيأتي.

ومن مظاهر الاشتراك اللفظي التي ذكرها النَّمَرِيّ ما يأتي:

١- إطلاق اللفظ الواحد على المفرد والجمع (اختلاف العدد)، كقوله: ((وأبيض هجان. قال عبيد الله بن قيس الرقيات [(٢)]: [من الخفيف]

وإذا قِيل مَن هِجَانُ قريشٍ :: كُنتَ أنتَ الفَتَى، وأنتَ الهِجَانُ

قال أبو رياش – رحمه الله- هجان كلمة تقع على الواحد والجمع.)) [(٣)]

(١) الملمع (٤٠)

(٢) ديوانه (١٩٩) تحقيق وشرح، د. محمد يوسف نجم، دار صادر- بيروت، د.ت.

(٣) الملمع (١٩)

وفي استشهاد النَّمَرِيّ ببيت عبيد الله ما يحتمل الوجهين:

- إذ يُحتمل بقوله (مَن هجان قريش؟) أن يكون مفردًا، أي مَن فتى قريش وخيارها، فيكون الجوابُ مناسبًا للسؤال.
- ويُحتمل أن يكون المقصودُ بـ(مَن هِجان) الجمع، أي: مَن هم خيار قريش، فتأتي الإجابة أنه الممدوح، فيكون تخصيصًا في الإجابة، بعد التعميم الوارد في السؤال، ولكل وجهٌ صالحٌ من حيث المعنى. ولعل ما أفسح المجال هنا لقبول الوجهين جواز إطلاق (مَن) على المفرد والجمع أيضًا.

وذكر النمري في موضع آخر إطلاق على المذكر والمؤنث والجمع، في قوله: " وهو هجان للذكر والأنثى والجمع. "[١]

وهذا ما نصَّ عليه كثيرٌ من العلماء قال صاحب العين: " ناقة هِجان، وبعير هِجان، ويجمع على هجائن." [٢]

وقال الجوهري: " ويستوي فيه المكر والمؤنث والجمع، يقال: بعير هِجان، وناقة هِجان، وإبل هِجان، وربما قالوا هجائن." [٣]

ويبدو من خلال حديث العلماء عن هذا اللفظ أن إطلاقه على المفرد والجمع موضع اتفاق، وإنما وقع الخلاف في إطلاق هذا اللفظ على المثنى منه.

يتضح ذلك من خلال ما أورده ابن سيده في قوله:" .. وفيه مذهبان ذكر سيبويه أحدهما دون الآخر، فأما الأول منهما فهو الذي ذكره سيبويه أنه يقال: هذا هِجان، وهذان هِجانانِ وهؤلاء هِجان، وذلك أن هِجانًا الواحدَ هو فِعَال، وفِعَال يجري مجرى فعيل، فمن حيث جاز أن يجمع فعيل على فِعَال، جاز أن يجمع فِعَال

(١) الملمع (٢٤)

(٢) العين (ه. ج. ن) [٣٩٢/٣]

(٣) الصحاح (ه. ج. ن)

على فِعَال؛ لاستواء فعيل وفِعَال. وأما المذهب الآخر فيقال: هذا هِجان، وهذان هِجان، وهؤلاء هِجان. فيستوي الواحد والتثنية والجمع فيجري مجري المصدر.." [١]

ومن الواضح اشتمال هذا النصِّ – بالإضافة إلى اختلافهم في التعبير بهذا اللفظ في حالة التثنية– على علة إطلاق هِجان على المفرد والجمع؛ القائمة على القياس على (فعيل) من حيث جمعه على فِعال، في مثل: (كريم) و(كِرام)، وبمنزلته فِعال (المفرد)، فكانت هذه المنزلة سببًا في جواز جمع (فِعال) على (فِعال) كما يجمع عليه (فعيل).

٢– إطلاق اللفظ الواحد على المذكر والمؤنث (اختلاف الجنس)، كالمثال المذكور من قَبلُ، حيث سوَّى النَّمَرِي في إطلاق الحِضار على الأبيض من الإبل ذكرًا كانت أو أنثى.

ولا يقتصر أمرُ التسوية في هذا اللفظ بين الجنسين فقط وإنما يتعداه إلى الجمع أيضًا، ففي (العين): ((الحِضار: اسم جامع للإبل البيض كالهجان، الواحد والجميع في الحضار سواء..))[٢]

وأورد ابن منظور قولهم: ((ناقة حِضار ونوق حِضار.)) [٣] لكنه أورد أيضا أن القول ((إن الواحد من الحِضار والجمع سواء، ففيه عند النحويين شرح، وذلك أنه قد يتفق الواحد والجمع على وزن واحد إلا أنك تقدّر البناء الذي يكون للجمع غير البناء الذي يكون للواحد، وعلى ذلك قالوا: ناقة هجان ونوق هجان، فهجان الذي هو جمع يقدر على فعال الذي هو جمع مثل: ظِراف، والذي يكون من

(١) المخصص (١٠٣/٥)
(٢) العين (ح. ض. ر) [١٠٢/٣]
(٣) اللسان (ح. ض. ر) [٢٠١/٤]

صفة المفرد تقدره مفردًا، مثل: كتاب، والكسرة في أول مفرده غير الكسرة التي في أول جمعه، وكذلك ناقة حِضار ونوق حِضار..)) [١]

٣- إطلاق اللفظ الواحد على الألوان المتعددة. كإيراده عن أبي رياش قوله: ((البهيم الذي لا شِيَةَ به، كان أبيض أو أدهم أو كميتا أو أشقر. قال جرير بن الخطفي[٢]: [من الوافر]

لَكَ الغُرُّ السَّوابِقُ من قُريشٍ فَقَد عُرِفَ الأغَرُّ مِن البَهِيم)) [٣]

فذلك من إطلاقهم البهيم على الأسود في مقابل الأغر (الأبيض)، والمعنى: فقد عرف الأبيض من الأسود، دلالةً على الصفات الحسنة من السيئة، فهو إطلاق للألوان على المعنويات.

ولذا تطلق هذه الصفة على الذكر والأنثى على السواء، لما يتصفان به من لون لا يخالطه غيره، يقول الجوهري:" وهذا فرس بهيم، وهذه فرس بهيم، أي مصمت، وهو الذي لا يخالط لونَه شيءٌ سوى لونِه، والجمع بُهُم.." [٤]

ويقول الزَّبيدي:" البهيم ما لا شية فيه، تخالف معظم لونه من الخيل، يكون للذكر والأنثى، يقال: هذا فرس جواد وبهيم، وهذه فرس جواد وبهيم، بغير هاء." [٥]

---

(١) السابق (ح. ض. ر) [٢٠١/٤]

(٢) لم أقف عليه في ديوانه، لكنّ فيه:

رأوا أثبية الفهدات وردا ∴ فما عرفوا الأغر من البهيم ص ٤٠٠

وفيه: أبونا مالكٌ، وأبوك تيم ∴ فقد عرف الأغر من البهيم ص ٤٣٢

(٣) الملمع (٣٧)

(٤) الصحاح (ب. ه. م)

(٥) تاج العروس (ب. ه. م) [٣٢٥/٣١]

٤- إطلاق اللفظ الواحد على أشياء متعددة مختلفة. كقوله: ((فإذا كان الرجل أحمر فهو أشقر.. فإذا كان الفرس أحمر فهو أشقر.)) [١]

فلعل ما دعا إلى اتفاق اللفظ عدمُ مراعاة الدرجة اللونية بين الرجل إذا اتصف بالحمرة، وكذلك الفرس، فهو من إطلاق الشبيه على شبيهه، دون مراعاة لدرجة اللون، تلك الدرجة التي وضَّحها الجوهري في قوله:" الشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض، وفي الخيل حمرة صافية يحمر معها العُرف والذَّنَب." [٢] وما وضح الفرق بين الإطلاقين هنا قيد (مائلة إلى البياض)، مما هو معهود في لون من يتصف بهذه الصفة من الناس، مما لا تتطابق معها في وصف الخيل.

ومثل ذلك مما أورده عن الأصمعي من قوله: ((الجريال تكون الحمرة بعينها، ويكون الصبغ الأحمر.)) [٣] فإطلاق الجريال على كلا المفهومين من باب عدم مراعاة ما بين الشيئين من فروق في درجة اللون نفسه، أو بمعنى آخر مراعاة اللون بعمومه دون النظر إلى ما بين درجاته من اختلاف.

ومن دلائل وعي النَّمَرِيّ بالاشتراك اللفظي في بعض الألفاظ استعانته على تحديد مفهومها بالسياق، فهو من محددات معاني المشترك اللفظي إن لم يكن من أهمها. تجد ذلك في قوله: ((وقال تأبط شرًا: [من البسيط]

يَسرِي علَى الأَيْنِ والحَيَّاتِ مُحْتَفِيًا نَفسِي فِدَاؤك مِن سارٍ على سَاقِ

ويقال: الأين – ها هنا- الإعياء.)) [٤]

---

(١) الملمع (١٩)

(٢) الصحاح (ش. ق. ر)

(٣) الملمع (٩٦)

(٤) الملمع (٤٨)

فأفاد اعتراضه بـ(ها هنا) وإيراده الفعل المبني للمجهول (يُقال) أمرين:

الأول- أن للفظة (الأين) معاني عدة، ومن معانيها التي أوردتها المعاجم:

- الإعياء والتعب، قال كعب(١) رضي الله عنه:

* فِيهَا عَلَى الأَينِ إرْقَالٌ وتَبْغِيلُ*(٢)

- الحية، مثل الأيم، أو مبدل عنه، ومرَ في موضع سابق من هذا البحث أن ابن السكيت يجعله للذكر من الحيات.

- الرَّجُل، والحِمْل عن اللحياني.

- الحين، ومصدر آن يئين، أي: حان، يقال: آن لك أن تفعل كذا يئين أينا- عن أبي زيد- أي: حان.(٣)

الثاني: أنه لا يذهب إلى هذا التحديد، اعتمادا على قوله (يقال) وكأن المعنى المتبادر إلى الذهن والأقوى هو اعتبار الأين هنا بمعنى: الحيات؛ وذلك اعتمادا على السياق اللفظي أيضًا من عطف كلمة (الحيات) عليها، ولعله بذلك يذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم من أن الأين ولد الحيات، فيخرج بذلك من عطف الشيء على نفسه، إذ هما على هذا المعنى شيئان مختلفان.

ومثال ذلك أيضا قوله: ((قال الأفوه الأودي(٤): [من الرمل]

ومتى ما أدع سعدا فاتنِي مثلما جالت مع الليل الحِرار

---

(١) عجز بيت، صدره: [من البسيط]

* ولَن يُبَلِّغَها إلا عُذافِرةٌ *

ديوانه (٦٢)، تح. علي فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٧ه- ١٩٩٧م.

(٢) الأين: التعب. الإرقال والتبغيل: ضربان من السير.

(٣) ينظر فيما سبق من معاني: القاموس المحيط (أ. ي. ن) [١١٧٨]، تاج العروس (أ. ي. ن) [٣٤/٢٢١، ٢٢٢]

(٤) راجعت ديوانه فلم أعثر عليه.

ويقال: الحرار- ها هنا-: الإبل العطشى.)) [١]

وقد خلد العرب إلى الاشتراك اللفظي في حقل الألوان، فأطلقوا بعض الألفاظ على ما تدل عليه ألفاظٌ أخرى، موسعين بذلك إطلاقه على لونين مختلفين، ومما أورده النَّمَرِيّ في ذلك قوله:

- ((والخضرة عند العرب السواد.)) [٢] و ((.. والعرب تسمي الأسود أخضر))[٣] و((.. والخضرة عند العرب: السواد، وسمي سواد العراق سِوادا لكثرة خضرته))[٤]

ففي هذه المواضع ذكر للأخضر دلالتين:

- اللون الأخضر نفسه، كما هو معروف مما يتصف به الأشجار على سبيل المثال.
- السواد، واستشهد على ذلك بالعديد من الأشعار كقول الشماخ[٥]: [من الطويل]

وراحتْ رواحًا من زَرُودَ فَنَازَعَتْ زُبالَةَ جِلبَابًا من اللَّيل أخْضَرَا[٦]

(١) الملمع (٨١، ٨٢)

(٢) السابق (٢)

(٣) السابق (٨٤)

(٤) السابق (١٠٢)

(٥) ديوانه (١٣٩) تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب رقم: (٤٢)، ١٣٨٨ه-١٩٦٨م.

(٦) زرود: جبل.

وقول ذي الرمة[١]: [من البسيط]

* حَتَّى إذَا حَان من خُضْرٍ قَوادِمُه *

وقوله أيضًا[٢]: [من الطويل]

وأرضٍ خلاءٍ يَسحَلُ الريحُ متنَهـا كساها سـوادُ الليـلِ أكسـية خُضْـرا.

ولعل ارتباط لفظ (الأخضر) وما يتعلق به بالليل هو ما حدد معنى السواد في مثل هذه الأبيات، بالإضافة إلى القوادم ووصفها بالسواد في بيت ذي الرمة.

ومن ذلك قوله أيضا: ((والحمرة أيضا عند العرب البياض.)) [٣]

ولكن السؤال هنا ما سبب إطلاقهم لفظًا واحدًا على عدة معان في حقل الألوان؟

وقد أجاب عن مثل هذا السؤال د. أحمد مختار عمر، في قوله عن بعض ألفاظ الألوان: ((كان بينها نوع من التداخل عند العرب القدماء، وهو تداخل يرد إلى التطور الطبيعي الذي لحق ألفاظ الألوان في اللغة العربية. وإلى اتجاه العرب إلى التخصيص بعد التعميم... وردت الخضرة بمعنى السواد، ووردت بمعنى السمرة في ألوان الناس، وبمعنى الغبرة في ألوان الإبل والخيل)) [٤]

ولا أراني مقتنعا بهذين السببين المذكورين؛ لأمور منها: أن التطور الطبيعي للألفاظ يميل أكثر إلى التخصيص لا التعميم، والتخصيص يقتضي عدم

---

(١) صدر بيتٍ، عجزه: * ذي جدَّتين يَكفُّ الطرف تغييمُ*

ديوان ذي الرمة (٢٦٠) قدم له وشرحه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤١٥ه- ١٩٩٥م.

(٢) ديوانه (٨٧) وفيه: (تسحل) بدلا من (يسحل)، و(أردية) بدلا من (أكسية).

(٣) الملمع (٥)

(٤) اللغة واللون (٤٠، ٤١)

اشتراك اللفظ في معاني متعددة، وإنما يقتضي فك هذا الاشتراك بتخصيص لفظ واحد لمعنى واحد، وهو الأصل.

ومن المفترض أن تبدأ الأمور متداخلة ثم ما يلبث المتكلم أن يفصل بينها، ويحدد لكل منها لفظًا واحدًا، من خلال مراعاة بعض الملامح الفارقة بين المعاني، وهو في ذلك ينحو ناحية التخصيص بعد التعميم في دلالة الألفاظ. أما القول بأن التداخل نتيجة للتخصيص فلا أراه تعليلًا جيدًا.

أما السبب الذي أراه لذلك – خصوصًا أن العرب عرفوا اللون الأخضر ضمن ما عرفوا، بحسب ما أورد النَّمَرِيّ نفسه في صدر كتابه في قوله: ((إنَّ الله عز وجل خلق الألوان خمسة: بياضًا، وسوادًا، وحمرةً، وصفرةً، وخضرةً.)) [١] – فلعله التداخل اللوني بين الأسود والأخضر، فمن المعروف أن شدة اللون الأخضر قد تؤدي نحو ميله في الرؤية إلى اللون الأسود، أورد ابن سيده: ((وشدةُ الخضرة سوادٌ.)) [٢]

وقد ذكرت بعض الدراسات أن ألوان: الأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق، لها صفات تمييزية، لأن كلا منها يمثل نقطة فريدة لا يختلط فيها بغيره [٣] في حين وضعت اللون الأبيض والأسود في خانة أخرى، أي تسمح لها بالاندماج مع هذه الألوان الأربعة، وهنا قد تقع النقطة التي تجعل الأخضر يميل في بعض الأحيان إلى اللون الأسود ، ولعل السبب في ذلك هم الراؤون أنفسهم، فظلال اللون الأخضر توحي عند البعض بالقتامة التي هي معروفة عن اللون الأسود.

(١) الملمع (١)
(٢) المخصص (١١٣/٣)
(٣) اللغة واللون (٥٥)

وهكذا أرفدنا النَّمَرِيّ بسبب جديد من أسباب الاشتراك اللفظي يتمثل في إطلاق اللفظ الواحد على لونين مختلفين، بينهما تداخل لوني، ولعل ذلك من ثمار الدراسة الدلالية التحليلية للكتب القديمة.

رابعًا- التضاد:

كما كان النَّمَرِيّ واعيًا بالترادف بين الكلمات والاشتراك اللفظي بينها فقد كان واعيًا بشكل أوضح بالتضاد.

ومن المواضع التي تُوقِفُنا على هذا الوعي قولُه:((.. والجون أيضًا الأسود، وهو من الأضداد)) [١] وينطوي هذا القول على عدة أمور مُهمَّة:

أوَّلًا- إذا كنا قد أثبتنا للنَّمَري – فيما سبق- معرفتَه ببعض العلاقات الدلاليَّة اعتمادًا على الأمثلة الواردة في كتابه وشرحه إياها، دون ذكر المصطلح الدال عليها، فإنَّنا نؤكد ذلك الإثباتَ فيما يخصُّ التضاد، لأنَّ هذا المثال السابق ذكره أوقفنا على معرفة الرجل لتلك العلاقة بما لا يدع مجالًا للشك في ذلك، من خلال إيراده المصطلح الدال على تلك العلاقة، في قوله: (وهو من الأضداد)، ومعرفة هذا المصطلح قديمٌ، فقد ورد بلفظه عند كلٍّ من قطرب (٢٠٦هـ) وابن الأنباري (٣٢٨هـ) وغيرهما، ويكفي دليلًا على ذلك إطلاقُهم هذا المصطلح عنوانًا على مصنفاتهم في الأضداد، كما أورده سيبويه (١٨٠ه) في كتابه، لكنه عبَّر عنه بقوله: ((اتفاق اللفظين والمعنى مختلفٌ.)) [٢]

ثانيًا- أنَّ هذا القول يوقفنا على مذهب الرجل فيما يخصُّ الأضداد، فمن خلاله نعلم أنَّه من المُثبتِينَ له، المؤمنين بوقوعه في اللغة، شأنُه في ذلك شأن

(١) الملمع (٣٠)

(٢) الكتاب (٢٤/١)

بعض السابقين له من أرباب هذا الاتجاه، كسيبويه، وقطرب، والأصمعي (٢١٦هـ) والمبرد (٢٨٦هـ)، وابن الأنباري، وغيرهم.

ثالثًا- كلمة (الجون) التي وردتْ في هذا المثال من الكلمات الشهيرة، التي يُستشهد بها في حقل الألفاظ المتضادة، وقد ذكرها قطرب، والأصمعي، وأبو حاتم السجستاني، وابن السكيت، والصغاني في كتبهم.. وغيرهم [١]

وذِكْرُ النَّمَرِيّ لهذه الكلمة – ها هنا- من أجل انتمائها إلى حقل الألوان، من حيث دلالتها على لونين متضادين هما: الأبيض والأسود، وزاد ابنُ سيده أنه ((يقع على الأسود، والأبيض، والأحمر.)) [٢] وقد رأى أبو حاتم السجستاني أن استعمالها مع السواد أكثر، فقال: ((ويقال الجون للأسود، ويقال للأبيض، والأكثر للأسود.)) [٣] وجعل الأصمعي الجون درجةً شديدة السَّواد، فبعد ذكره (الدُّهمة)، قال: ((.. فإذا اشتد السواد عن ذلك، فهو جَونٌ، وناقة جَوْنَةٌ، وإبل جُون وجَوْنات.))[٤]

وقد أشار بعض اللغويين إلى مسألة تعريب هذه الكلمة، وهو ما لم يأتِ النَّمَرِيّ على ذكره، من حيث إن المجال ها هنا ليس مجالَه، أو موضَع ذكره، أو أن النَّمَرِيّ ممن يرون عربيةَ الكلمة، لا غير.

وقد أورد ابنُ فارس أنَّه ((زَعَمَ بعضُ النحويين أن الجون معربٌ، وأنه اللون الذي يقول له الفرس (الكُونَه) أي لون الشيء. قال: فلذلك يقال الجون

(١) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد (٣٦، ٩١، ١٨٩، ٢٢٧). للأصمعي، وللسجستاني ولابن السكيت، نشرها:د. أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت ١٩١٧م.

(٢) المخصص (١١٠/٢)

(٣) ثلاثة كتب في الأضداد (٩١)

(٤) كتاب الإبل (١٤٦)

الأسود والأبيض. وهذا كلامٌ لا معنى له. والجَوْن عند أهل اللغة قاطبة اسم يقع على الأسود والأبيض، وهو باب من تسمية المتضادين بالاسم الواحد..)) [١]

وممن يذكر تعريب هذه الكلمة آدي شير فقد ذكرها ضمن الألفاظ المعربة عن الفارسية، وذلك في قوله: ((الجون: معرب كَون، ومعناه اللون، ومما يؤيد تعريبه أنه يأتي بمعنى الأبيض، والأسود، والأخضر، والأحمر، والأدهم.)) [٢]

إلا أنَّ بعض العلماء يرى أن الكلمة عربيةٌ، من خلال ردِّهم أعجميتها كابن فارس، أو من خلال تجنبهم ذكرَ ما يشير إلى عدم عربيتها، من خلال إيرادهم إياها في كتبهم التي تتناول بالمعالجة الألفاظَ العربيَّةَ، وذكرهم معانيها.

بل إن الأصمعيّ ذَكَرَ صراحةً أن اختلاف دلالتها راجعٌ إلى اختلاف اللهجات، حيث يقول: ((.. ومنه أيضا: الجون في لغة قضاعة: الأسود. وفي ما يليها: الأبيض..))[٣]

ومن المواضع التي ذَكَرَ النَّمَرِيّ أمثلةً للتضاد فيها قوله: ((والأُدمَةُ في النَّاس السُّمرة وفي الإبل البَيَاض.)) [٤]

وَرَدَ في العين: ((وقالوا: الأدمة في الناس شَرْبَة من سواد، وفي الإبل والظباء بياضٌ، يقال: ظبية أدماء، ولم أسمع أحدًا يقول للذَّكَر من الظباء آدم.

(١) مقاييس اللغة (ج. و. ن) [٤٩٦/١]
(٢) الألفاظ الفارسية المعربة (٤٩) آدي شير، دار العرب، ط: ثانية، ١٩٨٧-١٩٨٨م.
(٣) الأضداد (١٠٠) لقطرب.
(٤) الملمع (٤٥)

وإن كان قياسًا)) [١] وفي الصحاح كذلك: ((والآدَم من النَّاس: الأسمر.. والأدمة في الإبل: البياض الشديد، يقال: بعير آدم، وناقة أدماء.)) [٢]

وجعل ابنُ فارس اللون الآدم الأغلب على بني آدم. [٣] كما ذكر ابنُ قتيبة أن البياض في الظباء مقتصرٌ على البطون، فيقول: ((الأُدْم: ظباء طوال الأعناق والقوائم، بيض البطون، سمر الظهور، وهي أسرع الظباء عدوًا، وهي تسكن الجبال.))[٤]

ويصف الأصمعي الإبلَ التي لم يخالط لونها لونٌ آخر بالآدم، دون أن يحدِّد ذلك اللونَ غير المختلط، فيقول: ((فإذا صدق لون البعير، فلم تكن فيه صهبة ولا حمرة، ولم يخلط شيء من الألوان لونَه، فهو آدم، وناقة أدماء.)) [٥]

ويربط بعضهم بين دلالة الآدم على السواد في البشر وتسمية سيدنا آدم بهذا الاسم؛ فقد أورد الأزهري عن الزَّجاج: ((يقول أهل اللغة: آدم، اشتقاقه من أديم الأرض؛ لأنَّه خُلِقَ من ترابٍ، وكذلك الأُدمَة إنما هي مشبهة بلون التراب.)) [٦]

وبذلك فقد أوقفنا النَّمَرِيّ في هذا المثال على سبب وقوع التضاد في هذه الكلمة، وهو اختلاف النوع، ما بين الإنسان وبعض الحيوانات، ومن الملاحظ أنه لم يذكر مصطلح (الأضداد) هنا كما ذكره في المثال السابق.

---

(١) العين (أ. د. م) [٨٨/٨]

(٢) الصحاح (أ. د. م) [١٨٥٩/٥]

(٣) ينظر: المقاييس (أ. د. م) [٧٢/١]

(٤) أدب الكاتب (١٧٢) ابن قتيبة، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د.ت.

(٥) كتاب الإبل (١٤٦)

(٦) تهذيب اللغة (أ. د. م) [٢١٥/١٤]

المبحث الثالث
التَّطور الدلاليّ والعموم والخصوص
في (المُلَمَّع)

من المباحث الدلاليَّة التي أولاها العلماء عنايتَهم ما يتعلق بمظاهر التطور الدلاليّ، وكذلك العموم والخصوص، وكان السيوطيُّ – على سبيل المثال– في (المزهر) واعيًا بما بين هذه المسائل من وشائج، حيث تحدث عنها في باب (معرفة العام والخاص) وجعله مقسمًا إلى خمسة فصول[1]:

الأول– العام، وهو الباقي على عموميته، وهو ما وضع عامًّا، واستعمل عامًّا.

ومثَّل له بما ورد في (فقه اللغة) للثعالبي من: إطلاق كلمة (السماء) على كل ما علاك فأظلك، و(الصعيد) على كل أرض مستوية، و(الصرح) لكل بناءٍ عالٍ... إلخ.

الثاني– العام المخصوص، وهو ما وُضِع في الأصل عامًّا، ثم خُصَّ في الاستعمال ببعض أفراده.

ومثَّل له بلفظ (السَّبْت)، فإنَّه في اللغة: الدَّهر، ثم خُصَّ في الاستعمال لغةً بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر.

ويسمَّى هذا النَّوع في الدراسات الدلاليَّة الحديثة (تخصيص العام).

الثالث– فيما وُضِع في الأصل خاصًّا، ثم استعمل عامًّا.

ومثاله، الوغى: اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثُر فصارت الحرب وغى.

ويسمَّى هذا النوع في الدراسات الدلاليَّة الحديثة أيضًا (تعميم الخاص)

---

(١) ينظر: المزهر (٤٢٦/١ وما بعدها) وينظر: الصاحبي (١١٢)، فقه اللغة (٤٣) للثعالبي، شرحه وقدم له: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية– بيروت، ط ثانية ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م

الرابع: فيما وُضِع عامًّا، واستعمل خاصًّا، ثم أفرد لبعض أفراده اسم يخصه. ومثاله، البُغض عامٌّ. والفِرك: فيما بين الزوجين خاصٌّ. التَّشهي عامّ، والوَحَم: للحبلى خاص.

الخامس: فيما وُضِع خاصًّا، لمعنى خاصٍّ.

ومثال ذلك: كلمة (مكانك) قال أهل العلم: هي كلمة وضعت على الوعيد، قال جل ثناؤه: (مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ) [يونس: ٢٨]. وكذلك كلمة (الطِّرْفُ) وهو: العتيق الكريم من الخيل، وهو نعتٌ للذُّكور خاصَّة.

فالأول والخامس، يشكلان ما يعرف في الدراسات الحديثة بمبحث (العام والخاص). بينما يشكل الأنواع الثلاثة الأخرى مبحث (تعميم الخاص وتخصيص العام).

وإذا أردنا أنْ نبحث عن مواضع لهذه المباحث في (المُلَمَّع) ألفينا ما يلي:

أوَّلًا- مظاهر التَّطور الدلاليّ:

١. فأمَّا بالنسبة لتخصيص العام أو ما سمَّاه بعضُهم (تضييق المعنى)[١]، فقد ورد في قول النَّمَرِيّ: ((فإذا كان الحية أسود فهو حنش.. ويقالُ لجميع دواب الأرض أحناش، كالضب والقنفذ واليربوع. ثم خص به الحية.)) [٢]

فقد قَيَّد النَّمَرِيّ الحنش بالحيَّة السوداء من ناحية، وخصَّص اللفظ بالحيَّة، بعد إطلاقه على غيرها من الدَّواب.

ويبدو أنَّ هناك اختلافًا بين العلماء حول هذا الإطلاق، أورده ابنُ فارس في قوله: ((الحاء والنون والشين أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، وهو من باب الصيد إذا صِدْتَه.

(١) ينظر: علم الدلالة (٢٤٣) د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط خامسة ١٩٩٨م.

(٢) الملمع (٧٦)

وقال أبو عمرو: الحنش كلُّ شيءٍ يصاد من الطَّيـر والهـوام. وقـال آخـرون: الحنش: الحية، وهو ذلك القياس..)) (١)

وقد أورد أبو عبيد الرأيين ضِمنَ كلام أبي عمرو، ففي الغريـب المصـنف: ((.. وأبو عمرو: الحنش أيضًا الحيَّة، والحنش كلّ شـيءٍ يصـاد مـن الطيـر والهوام..)) (٢)

ويبدو أنَّ كلا الاستعمالين جائزٌ، وإن كثر في الحية، لكن ذلـك لا يمنـع وروده في غيرها، ويُعتمد في تحديد المعنى المـراد علـى السـياق. وقـد أورد الأزهري استشهادًا لكلا الاستعمالين، فقال: ((وأنشد شمر في الحنش(٣):

[من الرجز]

فاقْدُر لَه فِي بَعضِ أعْرَاضِ اللَّمَم

لَمِيمَـةً مـن حَنَـشٍ أعْمَى أَصَم

فالحنش ههنا: الحيَّة. وقال الكميت(٤): [من الطويل]

فلا تَرأَمُ الحِيتـانُ أحْنـاشَ قَفـرَةٍ ولا تَحسَبُ النِّيبُ الجِحـاشَ فِصـالَها(٥)

فجعل الحنش: دواب الأرض من الحيات وغيرها.)) (٦)

---

(١) مقاييس اللغة (ح. ن. ش) [١١٠/٢]

(٢) الغريب المصنف (٣٣٠/١)

(٣) بلا نسبة في العين والتهذيب: (ح. ن. ش)

(٤) ديوانه (٢٧٩)، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر- بيروت، ط أولى، ٢٠٠٠م.

(٥) ترأم: تعطف على. الحيتان: الحيات. النيب جمع ناب، وهي الناقة. المسنة. الجحاش: ولـد الحمار. فصالها: صغارها.

(٦) تهذيب اللغة (ح. ن. ش) [١٨٦/٤]

٢. وأما بالنسبة لتعميم الخاصّ، أو ما سمَّاه بعضُهم (توسيع المعنى)، فيمكن ملاحظته في مواضعَ من (المُلَمَّع)، من مثل إطلاق لفظ (الأخضر) على اللون الأسود، يقول النَّمَرِيّ:((والعرب تُسمي الأسودَ أخضر)) [١] فبعد أن وضع اللفظ ليدل على لون معين هو الخضرة، توسع مدلوله ليدل على لونٍ آخر معه هو السواد.

ومثل ذلك يقال في إطلاق لفظ (الأحمر) على اللون الأبيض، فقد نَقَلَ النَّمَرِيّ عن أبي رياش قوله: ((العرب تدعو الأبيض أحمر.. وسُمِّيَتْ عائشة –رضي الله عنها– الحميراء؛ لبياضها.)) [٢]

وقد ذَكَرَ النَّمَرِيّ أنَّ هذا التوسيع إنَّما مرده إلى استعمال العرب، ولذلك فقد رد توهم من قال بإطلاق الصفرة على السواد، وذلك في قوله: ((قال الله تعالى: (صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) [٣])) [٤]، مما سيأتي بيانه عند الحديث عن (الخصوص)

فتابع النَّمَرِيُّ أبا رياش في ذلك حيث لا يرى توسيع دلالة كلمة (الأصفر) لتدل على اللون الأسود؛ لأن ذلك لم يَرِد عن العرب، ولم يُسمع عنهم كسماع الأخضر في الدلالة على اللون الأسود، والأحمر في الدلالة على اللون الأبيض.

ثانيًا– العموم والخصوص:

١. بالنسبة للعموم، فإن النَّمَرِيّ ذكر بعض الألفاظ الدالة على العموم:

---

(١) الملمع (٨٤)

(٢) السابق (٣٤)

(٣) البقرة من الآية (٦٩)

(٤) الملمع (٩٨، ٩٩)

- كقوله: ((.. وحر كل شيء كريمه. قال جميل بن مَعمَر[١]: [من الطويل]

تَعاوَرنَ بالأيدي مِراةً وراجَعَتْ مَراودُ حُرِّ الكُحلِ في الأعينِ النُّجلِ

والحرة: الكريمة العفيفة من النساء..)) [٢]

يقول صاحب العين: ((والحُرُّ من كل شيء اعتقه)) [٣]، وفي تاج العروس: ((والحر: خيار كل شيء وأعتقه، وحر الفاكهة خيارها. والحر كل شيء فاخر من شعر وغيره.))[٤]

ويمكن ملاحظة ذلك في المعنى الأصلى لمادة (ح. ر. ر)، يقول ابنُ فارس في ذلك: ((الحاء والراء في المضاعف له أصلان: فالأول ما خالف العبودية، وبريء من العيب والنقص.))[٥]

ولذلك أطلقت كلمة (الحر) ومشتقات مادتها على ما له قيمة، فكما أورد النَّمَرِيّ الحرة: الكريمة من النساء، والحرة نقيضة الأَمَة، والرجل الحرّ من الحرية، وهو حر ما دام كريما، والحرير أكرم الثياب، والحرُّ: الفعل الحسن، ويقال: ناقة حرة، وكذلك سحابة حرة، أي: كثيرة المطر.[٦]

---

(١) البيت غير موجود في ديوانه، ولعله توهمه قوله: [من الطويل]

ولكنما يظفرن بالصيد، كلما جلون الثنايا الغُرّ، والأعين النُّجلا

(٢) الملمع (١٨)

(٣) العين (ح. ر. ر) [٢٤/٣]

(٤) تاج العروس (ح. ر. ر) [٥٧٣/١٠]

(٥) مقاييس اللغة (ح. ر. ر) [٦/٢]

ديوانه (٨٤) دار صادر– بيروت، ١٤٠٢ه– ١٩٨٢م.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ح. ر. ر) [٤٣١/٣]، الصحاح (ح. ر. ر) [٦٢٦/٢ وما بعدها].

- وقوله: ((.. وهجان كل شيء كريمه. قال الراجز[١]: [من الرجز]

هـــذا جَنـــايَ وهِجَانُـــهُ فِيهْ

إذْ كُلُّ جَانٍ يدُه إلى فِيهْ)) [٢]

يقول ابن دريد: ((والهجان من الإبل: كرامها، لا واحد له من لفظـــه، وهـــي البيض، وقالوا جمعها هجائن.)) [٣] وأورد الجوهري: ((وأرض هجان: طيبة الترب مَرَبٌ، وامرأة هجان: كريمة.))[٤] ومنه قول ابن فارس:((والهجان من الإبل: البيض الكرام. وناقة هجان وبعير هجان: كريمة. وأرض هجان: مَـــرَبٌ لينة التربة بيضاء. وامرأة هجان: كريمة.)) [٥]

لنرى أشياءَ مختلفةً مما أطلق على كل منها هذا اللفظ لعلو منزلتـــه ونقائـــه، كالأرض، والإبل، والنوق، والأرض، والمرأة، مما يدل على عموم اللفظ فـــي هذا المعنى.

- وقوله: ((ويقال لكل أحمر: إضريج.)) [٦]

فهذا لفظ عام في الدلالة على اللون الأحمر على اختلاف الموصوف به، ثوبًـــا كان أو صبغًا أو ما لُطِّخ بدم أورد الأزهري عن ابن السكيت قوله: ((أكســـية

---

(١) نسبه الأصمعي إلى عليّ رضي الله عنه، فيما أورده الجوهري، ينظر: الصحاح (ه. ج. ن) [٢٢١٦/٦]

(٢) الملمع (١٩)

(٣) جمهرة اللغة (ه. ج. ن) [٤٩٨] لابن دريد، تح. د. رمـــزي منيـــر البعلبكـــي، دار العلـــم للملايين- بيروت، ط أولى ١٩٨٧

(٤) الصحاح (هـــ. ج. ن) [٦٢٦/٢]

(٥) مجمل اللغة (ه. ج. ن) ابن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسســـة الرســـالة، ثانية ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

(٦) الملمع (٩٠)

الإضريج: أكسية خزّ حمر. والإضريج: صبغ أحمر، وثوب مضرج من هـذا.. وكل شيء تلطخ بدم أو غيره فقد تضرج)) [١]

٢. بالنسبة للخصوص، فإن النَّمَرِيّ لم ينصَّ صراحةً على خصوص دلالة بعض الألفاظ، بذكر قيد أن الكلمة (تستعمل في كذا خاصة)، أو غيرها مما عهدناه عند كثير من اللغويين.

ولكن يمكن من خلال فحص (المُلَمَّع) الوقوفُ على بعض الكلمات التي وُضِعت لمعانٍ خاصة، وبقيتْ دلالتُها على تلك المعاني خاصةً كما هي، ومنها:

- (الأبيض والأسود):

تعد هاتان الكلمتان في مجال الألوان من الكلمات الداخلة في حيز الخصوص؛ فقد أُطلق كل منهما للدلالة على لونٍ معينٍ، ولم تتعدَّ هذا المفهوم لتشمل لونًا آخرَ.

على نقيض ما وجدنا – مثلًا- في كلمتيْ: (الأخضر) في دلالتها على اللون الأسود، بالإضافة إلى اللون الأخضر نفسه. و(الأحمر) في دلالتها على اللون الأبيض، إضافة إلى دلالتها على اللون الأحمر نفسه.

ولابد أن نفرق هنا بين الكلمة الدالة على اللونِ واللونِ نفسِه، فبينما قد تتعدد الكلمات الدالة على اللون، يبقي اللون نفسُه واحدًا.

فأمَّا كلمتا الأبيض والأسود، فلم ((يختلف تفسيرُهما القديم كثيرًا عن الحديث.)) [٢] وقد اعتمدتْ المعاجمُ العربية على اشتهار دلالتهما، بما يغني عن شرحهما، ولذا وجدنا في المعاجم ((السواد نقيض البياض)) [٣] و((السواد

(١) تهذيب اللغة (ض. ر. ج) [٥٥٢/١٠] وينظر: العين المادة نفسها [٤١/٦]
(٢) اللغة واللون (٤٢)
(٣) العين (س. و. د)

لون، وقد اسود الشيء اسودادًا، واسوادّ واسويدادًا)) [١] و((فالأصل البياض من الألوان، يقال: ابيَضَّ الشيء.))[٢] و((السين والواو والدال أصل واحد، وهو خلاف البياض في اللون، ثم يحمل عليه ويشتق منه، فالسواد في اللون معروف، وعند قوم: كل ما خالف البياض، أي لون كان فهو في حيز السواد.)) [٣]

ومن خلال النصوص الواردة نعلم أن هذين اللفظين خُصَّا باللونين الأبيض والأسود، ولم يتم تعميمهما فيما يخص الألوان الأخرى، وأما إطلاقهما على الأمور المعنوية فهو وارد عن العرب، وهو كثير في كلامهم وشعرهم، لا يذهبون به إلى بياض اللون، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب والأدناس [٤]

ولذا يقول الأصفهاني: ((ولما كان البياض أفضل لون عندهم، كما قيل: البياض أفضل والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل، عُبِّر عن الفضل والكرم بالبياض، حتى قيل لمن لم يتدنس بمعيب هو أبيض الوجه، وقوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ) [٥]، فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرة واسوادها عن الغم، وعلى ذلك (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) [٦])) [٧]

(١) الصحاح (س. و. د) [٤٩١/٢]
(٢) مقاييس اللغة (ب. ي. ض) [٣٢٦/١]
(٣) مقاييس اللغة (س. و. د)
(٤) ينظر: اللغة واللون (٤١)
(٥) آل عمران (١٠٦)
(٦) النحل (٥٨)
(٧) المفردات في غريب القرآن (٨٥)، للأصفهاني، تح. مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار نزار مصطفى الباز، د.ت.

ويبدو أنَّ كلمة (الأصفر) أيضًا من الكلمات المخصوصة في مجال الألوان؛ ولذلك فقد أفرد النَّمَرِيّ مساحةً للرد على إطلاقها على اللون الأسود، وذلك في قوله: ((قال الله تعالى: (صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) [١] زعم ابن قتيبة وأبو عبيدة أن الصفراء ها هنا السواد، وأن الأصفر عندهم الأسود. قال أبو رياش – رحمه الله– غلط ابن قتيبة وأبو عبيدة، فأين هما من قول ذي الرُّمة[٢]: [من الطويل]

وجيدٍ ولبَّات نواصِعُ وضَّح إذا لم تكن من نضحِ جاديه صُفرًا

والجادي: الزعفران، أفترى الزعفران أسودَ؟ .. وقال ــ أيضًا ــ : ولا يقال فاقع إلا للأصفر، فمن قال أسود فاقع فهو كمن قال: أبيض حالك.. ولو تكلمت العرب بما ذكره ابن قتيبة لشاع، كما قيل للأسود أخضر، وللأبيض أحمر. ولكن العرب لم تتكلم به)) [٣]

وقد اعتمد في القول بما يمكن تسميته بتخصيص لفظ الأصفر، في الدلالة على اللون المعروف بهذا الاسم دون تجاوزه إلى غيره على:

- عدم ورود ذلك أو شيوعه عن العرب، كشيوع كلمة (الأخضر) على اللون الأسود، وكلمة (الأحمر) على اللون الأبيض.
- تأكيد كلمة الأصفر بالفاقع، ولا يقال فاقع إلا للأصفر، بحسب النَّمَرِيّ.

(١) البقرة من الآية (٦٩)

(٢) ديوانه (٦٨)، وفيه: (واضح) بدلا من (وضَّح)، و(جادِيِّها) بدلا من (جادِيِّه).

(٣) الملمع (٩٨، ٩٩)

المبحث الرابع
النظريات الدلاليَّةُ الحديثةُ
وتطبيقاتُها في المُلَمَّع (الحقول والسياق أنموذجاً)

ليس من الإنصاف في شيءٍ أن نحاسب السابقَ بما توصل إليه اللاحقُ، ولذا فما أود طرحه في هذا المبحث، ليستْ محاكمةً لكتاب (المُلَمَّع) في ضوء مبادئ النظريات الدلاليَّة الحديثة، وإنَّما ينصب هدفي على بيان مدى وعي علمائنا القدامى – والنَّمَريّ هنا أنموذجًا– بتلك المبادئ، وسبقهم إليها، قبل بلورتها في شكل نظرياتٍ حديثةٍ بزمن كبير، وبيان مدى الجهود الدلاليّة التي بذلها قدماؤنا في سبيل شرح النصوص، وبيان غوامضها، وما قدموه من آليات تعين هذا القارئ على الفهم والاستيعاب.

خصوصًا أننا ((لا نكاد نجد نظريةً لغويةً حديثةً، أو منهجًا لغويًّا إلا له أصول وأسس في التراث اللغوي العربي.)) [١]

وهناك قناعات عند كثير من علمائنا العرب المحدثين بأن النظريات الحديثة في كثير من جوانبها تدين إلى ذلك التراث العربي، وهو ما دعا إلى القول بأنَّ " بحوث العرب كانت الأساس الذي بنى عليه الغربيون مستحدثاتهم في مختلف الدراسات اللغوية، وهي وإن نُسبتْ إلى علماء الغرب – في مظهرها الحالي– فإن النَّاظر في جوهرها، يلمح فيها الأصل العربي، الذي نمتْ وتفرعتْ من جذوره، والفضل – كما يقولون– لمن بدأ الطريق الشاق.)) [٢]

---

(١) الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة (٢١) د. أحمد عارف حجازي، مكتبة الآداب، ط أولى ١٤٢٨ه–٢٠٠٧م.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث (٣١، ٣٢) د. عبد الغفار هلال، ط رابعة، ١٤٢٣ه–٢٠٠٢م.

ولذا وجدنا من يقول: ((.. إن كل نظرية لسانية ظهرت في العالم الغربي إنما هي مدينةٌ للفكر التراثي الذي سبقها، بشكلٍ أو بآخر؛ لأنَّها إمَّا أن تكون مكمِّلة له أو مناقضة له، فهي بناءٌ جديدٌ على إثر بناءٍ شُيِّد قبله، ولا يمكن أن تكون طفرةً مسبوقةً بعدم. وهذا ما ينطبق على التراث العربي عامة بعدِّه جزءًا من التراث العالمي، ولاسيما أن حضارة العرب إنَّما هي حضارة الكلمة.)) (١)

ولقد خسر الغربيون قبل العرب من عدم تنبههم إلى ما في التراث العربي من نظرياتٍ، كان يمكن التأسيس عليها، فهم ((لو انتبهوا إلى نظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم. بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما قد لا تدركه إلا بعد أمدٍ.)) (٢)

وفي هذه السطور سأحاول الوصول إلى بعض تطبيقات نظريتيْ (الحقول الدلالية)، و(السياق)- لاشتهارهما في تحليل المعني- من خلال تلك الإشارات الواردة بين ثنايا (المُلَمَّع):

أوَّلًا- نظرية الحقول الدلاليَّة وتطبيقاتها في (المُلَمَّع):

من الحقول الدلالية المُهمَّة حقلُ الألوان ذلك أنَّه حقلٌ لغويّ عالميّ، عُني به كثيرٌ من العلماء ((على اختلاف ثقافتهم، وتنوع اهتماماتهم، وكان التأليف فيه

(١) تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب (٢٦، ٢٧) د. هدى صلاح رشيد، منشورات ضفاف- منشورات الاختلاف، ط أولى، ١٤٣٦-٢٠١٥م.

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية (٢٣) د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ثانية، ١٩٨٦م.

متعدد الاتجاه؛ نظرًا لاتساع مجاله ووقوعه في دائرة اهتمام الفنان، والكيميائي، وعالم اللغة، والنفس، والطبيعة، ووظائف الأعضاء، وغيرها))[١]

وقد أولى علماؤنا القدامى عنايةً بهذا الحقل الدلالي فضمنوه كتبهم ورسائلهم، ((وربما كان (كتاب الخيل) لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تيم قريش المتوفى سنة تسع ومئتين للهجرة 209هـ، من أقدم ما وصل إلينا من المصنفات اللغوية التي أفردت مكاناً خاصاً بالألوان.))[٢] وتبعه كثير من علمائنا في تضمين كتبهم بابا لهذا الحقل الدلالي المهم.

أمَّا كتاب (المُلَمَّع) فيقوم على هذا الحقل قيامًا يتفق ونظرية الحقول الدلاليَّة التي تعني ((جمع كل الكلمات التي تخص حقلًا معيَّنًا، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام.))[٣]

ويتضح من خلال هذا النصّ أن أهداف هذه النظرية، تتمثل في عمليات إجرائية هي:

١. عملية الجمع الشامل لكل الكلمات في الحقل الواحد.

٢. عملية الكشف عن علاقات الكلمات بعضها البعض داخل هذا الحقل.

٣. عملية الكشف عن علاقات الكلمات داخل الحقل بالكلمة العامة التي تطلق على الحقل.

وبفحص (المُلَمَّع) نجد شبه تحقُّقٍ لهذه الأهداف الثلاثة، وذلك على النحو التالي:

أما بالنسبة للعملية الأولى- أعني جمع الكلمات المنتمية إلى حقل واحد- فإنَّ الكتاب كلَّه يقوم على هذه الفكرة، حيث إنه عبارة عن معجم لغويّ صغير، قام

(١) اللغة واللون (١٥)

(٢) الألوان في معجم العربية (٩)

(٣) علم الدلالة (٨٠)

صاحبه على جمع كلمات خاصة بحقل الألوان، وهو حقل دلاليّ مهمّ؛ حيث إنّه يوضّح لنا جانبًا من الجوانب الحضاريَّة لدى العرب من خلال رؤيتهم للأشياء من حولهم وتفاعلهم مع ألوانها، وإعطاء كل منها ألفاظًا خاصة به، دالين بذلك على تفكيرهم اللغوي، ومدى ربطهم الأشياء بألوانها من جانبٍ وألفاظها من جانبٍ آخر.

وإن لم يُسمَّ الكتابُ باسم يحمل الكلمة الرئيسة في هذا الحقل، وهي: (اللون/ الألوان) إلا أنَّ مؤلِّفه أعطاه اسمًا ذا دلالة لونية – بحسب ما ذكرتُ من قَبلُ.

ومن المُلاحَظ أنَّ هدفَ النَّمَرِيّ من الكتاب لم يكن استقصائيًّا، حيث إنَّه اقتصر فيه على إثبات ما سمعه، ولعل هذا يفسر لنا عدم إحاطته بجميع الألفاظ الدالة على الألوان– مما هو مثبتٌ في بعض المعاجم والمؤلفات اللغوية وغيرها– أو حرصه على ذلك.

ويتضح مبدأ السماع الذي اعتمده النَّمَرِيّ من قوله في مقدمة الكتاب: ((ونحن نبتدئ بنوع نوع، فنذكر ما سمعنا فيه إن شاء الله.)) [١] ولذلك فإنَّ في الكتاب كثيرًا من المرويات عن أبي رياش، وابن الأعرابي، والأصمعي، وأبي حاتم السجستاني، وغيرهم.

وبداخل الحقل الدلالي الكبير الذي ارتضاه النَّمَرِيّ إطارًا لكتابه خمسة من الحقول الفرعية، التي سمَّاها (النَّواصع الخوالص)، وقد ذكرها إجمالًا في المقدمة بقوله: ((إن الله عز وجل خلق الألوان خمسة: بياضًا، وسوادًا، وحمرةً، وصفرةً، وخضرةً.)) [٢] ثم أفرد لكل حقلٍ منها ما يشبه الباب، لتخرج هكذا:

- ذكر البياض.

---

(١) الملمع (٨)

(٢) السابق (١)

- ذكر السواد.
- باب الحمرة.
- باب الصفرة.
- باب الخضرة.

وفي النَّصِّ السَّابق على إيجازه بعضُ الإشارات المهمَّة، منها ما لاحظه د. أحمد مختار عمر من أنَّ النَّمَرِيّ بتحديده الألوان بخمسةٍ ((لم يعتبر هذا خاصًّا باللغة العربية وحدَها، وإنما اعتبره عامًّا في كل اللغات، حيث قال: (إنَّ الله خلق الألوان خمسة..).)) (١)

وهو ما قد يدل على النظرة التجريدية للغة الإنسانية، مما هو مشغلة علم اللغة في الدرس الحديث، ولا غرو فإنَّ ((العرب بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دُعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها، فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب. بل قادهم النظر – أيضًا– إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتدِ إليه البشرية إلا مؤخرًا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين.)) (٢)

وفي النص كذلك إشارة إلى أن هذه الحقول الخمسة، هي الحقول الفرعية الوحيدة التي تندرج تحت الحقل اللوني الكبير، وما عداها فيندرج تحت واحد منها، فيقول: ((فإن قال قائل: فأين الغبرة والسمرة والزرقة والصحمة والشقرة وأشكالهن من الألوان؟

(١) اللغة واللون (٣٩)

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية (٢٦)

قيل: هذه الألوان ليست نواصع خوالص. وكلٌّ يُرد إلى نوعه، فالغبرة إلى البياض، والسمرة إلى السواد، والزرقة إلى الخصرة، والصحمة إلى الصفرة، والشقرة إلى الحمرة.))[١]

وأجد في ذلك مبدأً دلاليًّا يستطيع النَّمَرِيّ من خلاله التغلب على إحدى الصعوبات التي ذكرت الدراساتُ الحديثةُ أنَّها تواجه واضعي معاجم الحقول الدلالية، متمثلة في ((التمييز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية داخل الحقل.)) [٢]

وهذا المبدأ يقوم على تحديد الكلمات الأساسيَّة بكون اللون (ناصع خالص) كالحمرة، أما إذا أمكن رد اللون إلى غيره فالكلمة (كالشقرة) هامشيَّة في الحقل ذاته.

وقد قيَّد الشقرة داخل اللون الأحمر بالرَّجل المتَّصف بهذا اللون، وكذا الفرس، إذ إنَّ اللون الأحمر عامّ في أشياءَ كثيرةٍ، بينما يتقيَّد استعمال الشقرة بأشياء محدودة، ويشبَّه بفعله هذا أحدَ المعايير التي وضعها Berlin وKay للتمييز بين الكلمات الأساسية والفرعية، فعندهما ((الكلمة الأساسية لا يتقيد مجال استخدامها بنوع محدد أو ضيق من الأشياء. فالشقرة في الاستعمال الحديث لا تطلق إلا وصفا للشعر والبشرة، ولذا لا يمكن أن تكون أساسية. أما الحمرة فيأتي استعمالها غير مقيد ولا محدود؛ ولذا فهي كلمة أساسية.)) [٣]

ويرى د. أحمد مختار أن ((النموذج الذي طرحه النَّمَرِيّ قد يُقبَل على أنَّه يمثل مرحلة مبكرة من مراحل اللغة العربية القديمة. أمَّا في فترة لاحقة فلا بد أن

(١) الملمع (٨)
(٢) علم الدلالة (٨٦)
(٣) السابق (٩٦)

يكون العرب قد ميزوا بين عدد أكبر من الألوان، فزاد عدد الألوان الأساسيَّة تبعًا لذلك.))[١]

لكنّ الآلوسيَّ يذكر ما يمكن اعتباره معيارًا صالحًا لجعل هذه الألوان الخمسة أساسيَّة، وذلك أنَّ ((هذه الخمسة ألوان بسيطة، والبواقي تحصل بالتركيب من هذه الخمسة بالمشاهدة، فإن الأجسام الملونة بالألوان الخمسة إذا سحقت سحقًا ناعمًا، ثم خلط بعضها ببعض، فإنَّه يظهر منها ألوانٌ مختلفةٌ بحسب مقادير المختلفات كما يشهد به الحس، فدل ذلك على أن سائر الألوان مركبة منها.))[٢]

ولا يزال النَّمَرِيّ يقيم علاقات دلاليَّة داخل كل حقل من هذه الحقول الفرعية الخمسة وتبدو واضحةً – من خلال تلك الرَّوابط- العمليةُ الثانية، التي تقوم على الكشف عن علاقات الكلمات بعضها ببعض داخل هذا الحقل.

وقد اتخذت هذه العملية مظهرين:

أولهما: أن يحشد الكثير من الألفاظ التي تندرج تحت اللون المتحدث عنه، ففي (ذكر البياض) – على سبيل المثال- أورد: الأبيض (اليقق- اللهق- اللياح- الوابص والوباص- والدلمص/ الدلامص- البراق- الناصع- الهبرزي- الصرح- الحر- الهجان- الأبلج- الواضح- البض- الغض- الأزهر- المشرق- المغرب- الأمق).

وكذلك في (ذكر السواد) أورد: الأسود (الحالك- الحانك- محلنكك- حُلبُوب- غربيب- غيهم وغيهب- سحكوك- فاحم- غداف...إلخ).

---

(١) اللغة واللون (٣٨، ٣٩)

(٢) رسالة في الألوان (٧٨) للعلامة محمود شكري الألوسي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ١، ج ٣، جمادى الآخرة ١٣٣٩- آذار سنة ١٩٢١م

وفي (باب الحمرة) أورد: الأحمر (القانئ- الغضب- العاتك- الورد – الفاقع- المدمى- الكرك...إلخ)

وفي (باب الصفرة) أورد: الأصفر(الفاقع- الفقاعي- الوارس).

وفي (باب الخضرة) أورد: الأخضر(الناضر- الحانئ- الزاهر-المدهام).

وثانيهما: أن يعقد علاقات بين بعض الكلمات داخل الحقل الواحد، تجعل منها كلمات متساوية المعنى أو متماثلته، أو ينص على أنها بمعنى واحدٍ.

ففي ذكر البياض يعقد بين بعض كلماته علاقات داخلية- عالجتُ بعضها في مبحث العلاقات الدلاليَّة، فبين كل من (الأبيض اليقق، واللهق، واللياح) علاقة في الدلالة على المعنى العام الذي هو شدة اللون الأبيض أو ما أطلق عليه (المبالغة). وبين (الأبيض الوابص، والوباص، والدلمص والدلامص، والبراق) علاقة في الدلالة على المعنى العام الذي هو (البريق).. وهكذا.

ثم يعقد علاقات أخرى بين بعض الألفاظ المتصفة باللون الواحد، فعقد أبوابًا متتالية لموصوفات متعددة باللون الأبيض، كالأحوري، وكذا الغرنوق، ومثلهما الأبلج، والأغر للرجل الأبيض، بينما الرعبوبة، والخزعوبة والخزعبة، والرقراقة، والبرهرهة، للنساء البيض.. وهكذا عقد بابًا للكتيبة وأسمائها إن كانت بيضاء، وكذا الفرس، والجمل، والنعجة وغيرها.

وفي السواد يعقد أبوابًا متتالية، لأشياء يتصف كل منها بالسواد، فيورد: الأدعج، والدعجاء، والجون، والدحامس، والأحوري.. وتتحد هذه الكلمات في دلالتها على الرجال والنساء السود. وكذلك: الرباب، والأسحم، والجون والجوني تدل على السحاب الأسود.. وهكذا.

وبهذا الترابط التسلسلي في الكتاب من الحقل الدلالي الكبير المتمثل في (الألوان) إلى تقسيمه لحقولٍ فرعيةٍ خمسةٍ، تندرج تحتها كثيرٌ من الكلمات التي

تربط بعضها علاوةً على دلالتها على اللون الواحد علاقات متعددة، تجعل من كل مجموعة منها حُزمة من الألفاظ ذات الدلالة المتقاربة – أقول بهذا الترابط تتحقق العملية الثالثة المتمثلة في الكشف عن علاقات الكلمات داخل الحقل بالكلمة العامة التي تطلق على الحقل.

وهكذا تتحقق بعض أهداف هذه النظرية، المتمثلة في العمليات الإجرائية الثلاث – السابق الحديث عنها– في (المُلَمَّع)، وهو ما يدل على وعي الرجل بهذه الأسس ومدى أهميتها في ترابط المعاني ذات الحقل الدلالي الواحد.

ومن المبادئ المهمة لهذه النظرية التي نجدها– أيضًا– متحققة في (المُلَمَّع) أنه ((لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.)) [١] وقد حرص النَّمَرِيّ على تسييق كثيرٍ من الكلمات التي أوردها، بحسب ما سأوضح في العنصر التالي.

ثانياً- نظرية السياق وتطبيقاتها في (المُلَمَّع):

إذا كان السياقيون يرون أنَّ ((معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى. وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها.)) [٢] ويضيفون عليها أمورًا أخرى خارج النص الحاوي لهذه الوحدات، فيما يعرف بالمقام، فإنَّنا نجد في (المُلَمَّع) كثيرًا من المواضع التي تُظهِر مدى عناية الرجل بالسياق في شرح ألفاظ الألوان وغيرها، سواءً منه ما تعلق بالنَّصِّ اللغويِّ، أو ما خرج عنه، مما يعرف بالسياق الخارجي.

وبالنظر إلى بعض الأسس السياقيَّة التي ذكرها المحدثون كمبادئ لنظرية السياق نلاحظ خلود النَّمَرِيّ إلى بعضها، على النحو التالي:

---

(١) علم الدلالة (٨٠)

(٢) السابق (٦٨، ٦٩)

١. أن ((الجملة هي وحدة التحليل الدلالي.. واعتبار الجملة وحدة للتحليل الصوتي يمثل واحدا من الأسس المهمة في نظرية السياق في التراث العربي.)) [١]

وأرى أنَّ النَّمَرِيّ كان واعيًا من الناحية التطبيقيَّة بهذا الأساس، ويتضح ذلك من خلال اعتماده، في مواضع عديدة من (المُلَمَّع)، على وضع الكلمات في جملٍ؛ لتوضيح معناها، من مثل قوله في إطلاق (ضَرَبٌ) على العسل الأبيض: ((فإذا كان العسل أبيضَ فهو ضَرَب .. يقال: استضرب العسل: إذا غلظ وأبيض.)) [٢] وكذلك في بيانه وصف الأخضر بالحانئ بقوله: ((.. وأخضر حانئ. يقال: حنأت الأرض تحنأ حنوءًا، إذا اخضرت والتف نبتها.)) [٣]

وهو بذلك يعتمد على ما سمَّاه المحدثون (السياق اللغوي أو الداخلي)، حيث يُستعان في فهم معاني الكلمة بما يأتلف معها من كلمات داخل النص الواحد.

ومن الظواهر الواضحة في منهج النَّمَرِيّ في (المُلَمَّع) كثرة الشواهد، فلا تكاد تخلو صفحة من الصفحات إلا وبها شاهد أو أكثر، وميزة هذه الشواهد أنَّ الألفاظ المتحدَّث عنها – في حقل الألوان مثلًا – يجري له تسييق من خلال هذه الشواهد المتعددة؛ ليتضح المعنى من خلالها، وقد تعددتْ هذه الشواهد ما بين:

– الشَّاهد الشعري، وكثرتها في الكتاب كثرة واضحة، ومن أمثلتها التي عمل فيها على تسييق الألفاظ الدالة على الألوان:

---

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (٥٧ وما بعدها) د. عبد الفتاح البركاوي، ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢) الملمع (٥٦)

(٣) الملمع (١٠١)

قوله في (ذكر البياض):((وأبيض وابص ووبّاص. قال الرَّاجز [١]:

أمَا تَرَيْنَي اليومَ نِضوًا خَالصًا [من الرجز]

أسودَ حُلْبُوبًا، وكُنتُ وابِصًا)) [٢]

ففهمنا من خلال هذا التسييق أنه كان أسودَ، فصار أبيض (وابص).

وقوله في (ذكر السواد): ((يقال أسود حالك.. وقال الأخطل[٣]: [من الطويل]

رَبيبُ صَفَاةٍ في لِهابٍ لُعابُهُ سِمامُ المَنايا، أَسودِ اللَّونِ حالِكِ)) [٤]

وتتضح دلالة كلمة (حالك) على السواد، من خلال عبارة التأكيد بها في جملة (أسود اللون حالك).

وقوله في (باب الحمرة): ((يقال: أحمد قانئ.. قال الأفوه الأودي: [٥] [من السريع]

يُغَادِرُ الجُبَّةَ مُحمرَّةً بقانِئ من دَمِ جَوفٍ جَمِيسِ)) [٦]

فاستبان من قوله: (بقانئ من دم جوف) دلالةُ القانئ على اللون الأحمر.

– الشاهد القرآني، ومن ذلك قوله: ((وأسود يحموم.. وسمي الدخان يحمومًا؛ لسواده. قال الله جل وعز: ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ [٧])) [٨] وقوله أيضًا: ((وأخضر

---

(١) في لسان العرب لأبي العزيب النصري، ينظر: مادة (و. ب. ص) [١٠٤/٧]

(٢) الملمع (١١) النضو: المهزول. حلبوب: أسود حالك.

(٣) ديوانه (٢١٩)، الصفاة: الحجر الأملس. اللهاب: الصدوع في الجبل،

(٤) الملمع (٦٠)

(٥) ديوانه (٨٨) وفيه (تغادر) بدلا من (يغادر)، شرح وتحقيق، د. محمد التونجي، دار صادر– بيروت، ط أولى، ١٩٩٨م.

(٦) الملمع (٨٥)

(٧) الواقعة (٤٣)

(٨) الملمع (٦٦)

وأخضر مدهامٌّ. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ ﴾ (١)، أي خضراوان.)) (٢)

- شواهدُ من أمثال العرب، ومن ذلك قوله: ((وأبيض أبلج.. ويقال في المثل: (الحق أبلج، والباطل لجلج) (٣).)) (٤) وبذلك أوضح أن الأبلج يكون للأمر المعنوي الواضح، كما هو للأمر الحسي الدال على البياض. ومنه أيضا قوله: ((فإذا كانت الكمأة بيضاءَ، فهي فَقْع.. ويقال في المثل: (أذل من فَقْع) (٥)))(٦)
- شواهد من النثر: ومن ذلك قوله في إطلاق الحمراء على البيضاء: ((وقال جرير- وسُئل عن الأخطل-: هو أوصفنا للخمر والحُمْر: يريد النساء البيض.)) (٧) وقوله: ((وفي بعض الكلام: ما في لابتيها أفصح مني. (٨)))(٩) (٨)))(٩)

(١) الرحمن (٦٢، ٦٣، ٦٤)

(٢) الملمع (١٠٢)

(٣) كتاب جمهرة الأمثال (٢٩٤/١) لأبي هلال العسكري، ضبطه وكتب هوامشه: د. أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٤) الملمع (٢٠)

(٥) جمهرة الأمثال (٣٨١/١)، وفيه: (أذل من فقع بقَرْقَرَة)، موضحا أن الفقع: ضرب من الكمأة أبيض، يظهر على وجه الأرض فيوطأ.. ويقال للذي لا أصل له: فقع؛ لأن الفقع لا أصل له، أي لا عروق.

(٦) الملمع (٥٥)

(٧) الملمع (٣٥)

(٨) قالها شبيب بن شبيبة، ينظر: الوافي بالوفيات (١٨٥/٨)

(٩) الملمع (٨٢)

٢. أن يراعى ((المقام أو السياق الخارجي.. لأن الكشف عن معنى الجملة أو الجمل (النَّص) يتطلب معرفة الظرف الخارجي الذي قيلت فيه، ولذا فقد عُني اللغويون العرب عمومًا، وعلماء التفسير والحديث والبلاغيون بوجه خاصٍّ بمعرفة المقام أو الأحوال المصاحبة للحديث، كمعرفة حال المتكلم أو السامع أو البيئة العامة، أو سبب نزول الآية، أو ورود الحديث، أو غير ذلك مما يُسمَّى بالعناصر غير اللغوية التي تساعد في الكشف عن المعنى المراد في النص.)) (١)

ونجد النَّمَرِيّ كذلك مُدركًا، لأهمية السياق الخارجي في تفسير المعنى، ومن ذلك قوله: ((.. وأبيض لهق. قال الأخطل يصف الثور: [من البسيط]

أمَّا السَّراةُ فمن ديباجَةٍ لَهَقٍ وبالقَوائِمِ مِثْلُ الوَشْمِ بالقَارِ)) (٢)

فعند بيانه أنَّ (اللهق) يقع ضمن الكلمات الدالة على البياض، يستشهد ببيت الأخطل، لكنه يقدم بين يدي البيت ما يدخل تحت السياق الخارجي، حيث إنه يوضح أن الموصوف في بيت الأخطل هو الثور، ومما ذكره العلماء في هذا اللفظ أنه ((الأبيضُ ليس بذي بَرِيقٍ .. إنما هو نعتٌ للثورِ والثوبِ والشيبِ.))(٣) فكان فكان القيد المذكور – بأنه يصف ثورًا- موضحًا لواحد من الأنواع التي تتصف بـ(اللهق).

(١) علم الدلالة (٥٨) بتصرف يسير

(٢) الملمع (٩)

(٣) العين (ل ه ق).

ومثل ذلك قوله: ((.. قال زياد الأعجم[١]: [من الكامل]

إنَّ السَّـمَاحَةَ والمُـرُوءَةَ ضُـمِّنَا قَبرًا بِمَروَ عَلَى الطَّريق الوَاضِـحِ.)) [٢]

وحتى لا يقف القارئ متسائلًا: قبر من هذا فإن النَّمَرِيّ يعقب على هذا البيت بقوله: ((يعني قبر المغيرة.)) فهذا البيت من مرثية زياد للمغيرة بن المهلب.

وكذلك اعتمد على السياق الخارجي كذلك في مواضع منها:

- وقوله: ((.. وقال الشماخ بن ضرار [٣] يصف سنامًا: [من الطويل]

وَهُنَّ كَتَرعِيبِ السَّنَامِ إذَا بَدتْ ذَوائِبُه للشَّمسِ كَادَ يَذُوبُ)) [٤]

- قوله: ((.. ولون الحديد أشهب. قال الراجز يصف سيفًا: [من الرجز]

أبيَضُ مِن مَاءِ الحَدِيدِ الأَشْهَبِ.)) [٥]

- قيود التوارد، المقصود بها ((توافق الوحدة المعجميَّة مع ما يجاورها في الجملة من سائر الوحدات الأخرى، فإن كان ثمت تلاؤم بين الوحدتين وصف الكلام بالاستقامة، وإن لم يكن الأمر كذلك وصف الكلام بالكذب أو الخطأ.. وتأصيل (التوارد) ودروه في الكشف عن استقامة الجملة دلاليًا يرجع إلى سيبويه عندما جعل إيراد كلمةٍ ما مع كلمةٍ لا تتناسب معها دلاليًا، مما يسم الكلام بالخطأ والكذب، وقد أطلق على ذلك ما أسماه بـ (المستقيم القبيح))) [٦] أو (المستقيم الكذب) في إشارة إلى قوله: ((.. وأما المستقيم الكذب فقولك:

---

(١) شعر زياد الأعجم (٥٤) جمع وتحقيق ودراسة، د. يوسف حسين بكار، دار المسيرة، ط أولى، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م.

(٢) الملمع (٢١)

(٣) لم أقف عليه في ديوانه.

(٤) الملمع (٣٢)

(٥) السابق (٣٦)

(٦) دلالة السياق (٧١، ٧٢) بتصرف يسير.

حملتُ الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا..)) [١]

فمثالًا: (حملتُ الجبل)، و(شربت ماء البحر) مستقيمان من الناحية النحوية، لكن الكذب فيهما دلالي، لورود كلمة الجبل وكذلك ماء البحر مع ما لا يناسبهما دلاليًّا.

وقد يكون التوارد للكلمة لا مع غيرها المجاورة لها، وإنما مع الحالة الدلاليَّة التي يطلق عليها.[٢] ومن أمثلة ذلك في (المُلَمَّع) قوله: ((ولا يقال: فاقع إلا للأصفر، فمن قال: أسود فاقع فهو كمن قال: أبيض حالك.)) [٣] وهو بذلك يقيد ورود (الفاقع) بالأصفر، دون الأسود، والحالك بالأسود دون الأبيض.

وكذلك قوله عن السحاب: ((.. وهو الصبير، ولا يكون صبيرًا حتى يكون فيه ماء.)) (٤) فقيود التوارد تحتم أن يُطلق هذا اللفظ على السحاب في حالة ما إذا كان فيه ماء، وإلا اعتبر خطأ من الناحية الدلالية؛ لأن إطلاق الصبير لا يكون إلا في حالة وجود الماء.

ومثل ذلك قوله عن السحاب أيضًا: ((النشاص: السحاب المرتفع.. ولا يقال له نشاص حتى يكون مرتفعًا.)) [٥] وقوله: ((ولا يقال لها ربابة إلا وهي

(١) الكتاب (٢٦/١) سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

(٢) ينظر: دلالة السياق (٧٢)

(٣) الملمع (٩٨)

(٤) السابق (٤٩)

(٥) السابق (٥١)

ماطرة.)) [١]

ومن خلال فحص المواضع التي ارتكن فيها النَّمَرِيّ إلى السياق مما أوردتُ طرفًا منه في السطور السابقة، أجد أن الرجل قد وظَّف السياق في حالتين لهما أهميتهما الدلالية في التوظيف السياقي:

الأولى: توضيح المعنى، كما في الأمثلة السابقة من قوله: (استضرب العسل)، و(أخضر حانئ)، حيث يتضح معنى الكلمة من خلال ائتلافها مع غيرها في جملة واحدة.

الثانية: تحديد المعنى، حيث يكون للكلمة أكثر من معنى، فيأتي السياقُ ليحدد المعنى المراد، مثل تحديد معنى (الأين) في قوله: ((ويقال: الأين- هاهنا- الإعياء))[٢] وعالجتُ ذلك من قبل عند حديثي عن (الاشتراك اللفظي).

وكذلك قوله: ((ونَصَعَ الثغر: إذا خلص بياضه. وقال سويد بن أبي كاهل:

صَقَلَتْه بِقضيبٍ نَاضرٍ مِن أرَاكٍ طَيِّبٍ حتى نَصَعْ[٣]

[من الرمل]

ونَصَعَ الرأي إذا خلص. قال لقيط الإيادي[٤]: [من البسيط]

... ... إنِّي أرَى الرَّأي إنْ لم أُعْصَ قَد نَصَعَا))[٥]

---

(١) الملمع (٧٧)

(٢) السابق (٤٨)

(٣) ديوان سويد بن أبي كاهل (٢٣)، جمع وتحقيق: شاكر العاشور، ط أولى ١٩٧٢م.

(٤) عجز بيت، وصدره: * أبلِغْ إيادًا وخَلِّلْ في سَراتِهِم * ديوانه (٣٩)، تح. د. عبد المعيد خان، دار الأمانة- مؤسسة الرسالة، ١٣٩١ه- ١٩٧١م.

(٥) الملمع (١٥)

فقد وضَّح أن الفعل (نَصَعَ) يستعمل مع الجانبين الحسي والمعنوي، ومع اشتراكهما في الدلالة على الخلوص، إلا أنه مختلفٌ فيهما باختلاف الفاعل حسيًّا ومعنويًّا، وذلك من خلال اختلاف تسييق الفعل في الجملتين.

وهكذا أوقفتنا هذه السطور على مدى وعي النَّمَري بكثير من المبادئ التي وضعها المحدثون بآخرة لبعض النظريات الدلالية، بطريقة تطبيقية تدعو إلى التعجب والتقدير في الآن ذاته، لما توصل إليه علماؤنا القدامى من تفكير لغوي على مستوى عالٍ من الدقة والتنوع، وهو ما يثبتُ يقيننا بأن في ثنايا هذا التراث ما يحتاج منا إلى استخراج واستنباط ورعاية تليق به وبمنجزات علمائنا من خلاله.

الخاتمة

بعد الدراسة التحليليَّة لقضايا الدلالة في كتاب (المُلَمَّع) أنتقل إلى مرحلة قطف ثمار البحث من خلال ما توافر من نتائج واستنتاجات، على النحو التالي:

- اعتمد النَّمَرِيّ في تفسير المعنى على طرقٍ متعددةٍ متنوعةٍ، هي: التفسير بالكلمة المقاربة- وأتت هذه الطريقة مناسبة لحجم (المُلَمَّع) وهدفه- والتفسير بأكثر من كلمة، والتفسير بتحديد المكونات الدلالية، والتفسير بذكر السياق.
- جَمَعَ النَّمَرِيُّ في بعض الأحيان بين طريقتين للتفسير، ففسر الشيء الواحد بهما، إما في موضع واحد، أو في موضعين مختلفين.
- لم يعتمد على التفسير بالضد؛ لأنَّه – في رأيي- يتناول حقلًا دلاليًّا مهمًّا، لا يجوز فيه الحمل على الضد، لاحتياج الدرجات اللونية – التي تدل عليها الألفاظ الواردة في الكتاب- إلى التمييز والإيضاح بدقة.
- عُني النَّمَرِيّ بعلل التسمية واجتهد في استخراجها، فتوافرتْ في كتابه على صغر حجمه، ومحدودية موضوعه عددٌ منها. واعتمد بشكل أساس على ملحظين مهمين من مَلاحظ التسمية، هما: تسمية الشيء بوصف فيه، أو تسمية الشيء بما يشبهه.
- مع عدم ورود مصطلح (الترادف) في (المُلَمَّع) إلا أنَّه وردتْ عبارات كالتسوية بين معاني الكلمات، أو كونها بمعنى واحدٍ، أو المماثلة. لكنّ النَّمَرِيّ كان يَعنِي بذلك المعنى العام الجامع بين هذه الكلمات، دون النظر إلى الملامح الدلاليَّة الفارقة بينها، ويؤكد ذلك اختلاف الموصوفات بهذه الكلمات من جهة، واختلاف درجاتها اللونية من جهة أخرى.

- هناك مثال واحد فقط أورده النَّمَرِيّ يدخل تحت الترادف وهو: (الأيم والأين) فهما لفظان مترادفان، والسبب في هذا الترادف هو اختلاف اللهجات، فاللفظ الأول لأهل الحجاز، بينما يطلق التميميون على المفهوم نفسه اللفظ الثاني.
- مما يُظهِرُ اعترافَه بالترادف بين بعض الكلمات إضافةً إلى المثال السابق تفسيرُه (الرند بالآس) ونصُّه بعد ذلك على أنه قد يكون (مثله)؛ فهو اعترافٌ من ناحية بالترادف بين اللفظين، وذكره الرأي القائل بالتفريق من ناحية أخرى، تقتضي المثلية وليست المطابقة.
- كان النَّمَرِيّ كغيره من اللغويين الأوائل على وعي بالفروق الدلالية بين الكلمات ودلالاتها، وقد ذكر الكلمتين المفرَّق بينهما في موضعٍ واحدٍ، كما أنَّ هناك نماذج ذكر فيها الشيء الواحد الموصوف بأوصافٍ متعددةٍ، في مواضع متعددةٍ، فالتعدد فيها لاسم اللون فقط، وهناك مواضع يتحدث فيها عن اختلاف أسماء الموصوفات باللون الواحد، فالتعدد هنا للموصوفات ولأسمائها في الآن نفسه.
- اعتمد النَّمَرِيّ في التفريق بين معاني الألفاظ، على عدة معايير، منها:
  - اختلاف الموضع الموصوف.
  - اجتماع الشيء أو تفرقه.
  - اختلاف ألفاظ اللون الواحد باختلاف الموصوف به.
  - اختلاف طول الأشياء.
  - اختلاف الدرجات اللونية للون الواحد.
  - اختلاف اشتقاق اللفظين.
- وردتْ أمثلة الاشتراك اللفظي في العديد من مواضع (المُلَمَّع)، وإن لم يذكر النَّمَرِيّ المصطلح نفسه أو لم يستعمله في كتابه، إلا أنه كان واعيًا بهذا الاشتراك بين بعض الألفاظ، من خلال إشارته إلى وصف هذه المعاني بالتسوية.

- من مظاهر الاشتراك اللفظي التي ذكرها النَّمَرِيّ:
  - إطلاق اللفظ الواحد على المفرد والجمع (اختلاف العدد)
  - إطلاق اللفظ الواحد على المذكر والمؤنث (اختلاف الجنس).
  - إطلاق اللفظ الواحد على الألوان المتعددة.
  - إطلاق اللفظ الواحد على أشياء متعددة مختلفة.
- أرفدنا النَّمَرِيّ بسببٍ جديدٍ من أسباب الاشتراك اللفظي يتمثل في إطلاق اللفظ الواحد على لونين مختلفين، بينهما تداخل لوني، ولعل ذلك من ثمار الدراسة الدلالية التحليلية للكتب القديمة.
- كان النَّمَرِيّ على وعي بالتضاد مصطلحًا ومفهومًا، فقد عبر عن ذلك في كلمة (الجون)، بقوله: (وهو من الأضداد)، ويوقفنا ذلك أيضًا على مذهب الرجل من القول بالتضاد، حيث إنه من المثبتين له.
- أوقفنا النَّمَرِيّ – أيضًا– في مثال (والأدمة في الناس السمرةُ وفي الإبل البياض) على سبب من أسباب وقوع التضاد، وهو اختلاف النوع، ما بين الإنسان وبعض الحيوانات.
- بالنسبة لمظاهر التطور الدلالي فقد وردت في (المُلَمَّع) نماذجُ لـ (تضييق المعنى)، وأخرى لـ(توسيع المعنى)، وقد ذكر النَّمَرِيّ أن مرد ذلك كله إلى استعمال العرب، وعدم اعتماده على ما لم يرد عنهم.
- وبالنسبة للعموم والخصوص، فقد أورد النَّمَرِيّ نماذج لكلا المظهرين، وإن لم ينص على المصطلحين، أو شَرحِ نماذجهما بطريقة تفصيلية.
- يتفق صنيع النَّمَرِيّ في (المُلَمَّع) مع الفكرة التي تقوم عليها نظرية الحقول الدلالية الحديثة، كما وجدنا تحققًا فيه للأهداف التي وضعها المحدثون للنظرية، وكذا شبه تحقق للعمليات الإجرائية لها.
- وجدنا خلود النَّمَرِيّ إلى بعض الأسس السياقية التي ذكرها المحدثون كمبادئ لنظرية السياق، وكان لديه وعي بها من الناحية التطبيقية أيضًا، فاعتمد على

السياق الداخلي (اللغوي)، وكذلك السياق الخارجي (المقام)، كما اعتمد على ما يعرف بـــ(قيود التوارد).

- **وظف النَّمَرِيّ السياق في حالتين لهما أهميتهما في الدرس الـــدلالي، همـــا: توضيح المعنى، وتحديده.**

لائحة المراجع

١. إبدال الحروف في اللهجات العربية، د. سلمان بن سالم السحيمي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ط أولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢. الإبدال والقلب، لابن السكيت، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي، نشره وعلق عليه: د. أوغست هفنر، ط. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت- ١٩٠٣م.

٣. أدب الكاتب، ابن قتيبة، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د.ت.

٤. أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط أولى،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

٥. إصلاح المنطق، لابن السكيت، تح: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٤٩م.

٦. الألفاظ الفارسية المعربة، آدي شير، دار العرب، ط: ثانية، ١٩٨٧-١٩٨٨م.

٧. الألوان في معجم العربية، د. عبد الكريم خليفة، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالأردن، العدد (٣٣) سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة/ مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط أولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تح: مجموعة من العلماء، ط وزارة الإعلام- الكويت، سلسلة التراث العربي ١٦

١٠. تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط رابعة ١٩٩٠م.

١١. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر الدمشقي، تح. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ٢٠١٢م.

١٢.تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، د. هدى صلاح رشيد، منشورات ضفاف- منشورات الاختلاف، ط أولى، ١٤٣٦-٢٠١٥م.
١٣.تعليل الأسماء، د. محمد حسن جبل، بحث منشور بمجلة اللغة العربية بالمنصورة، العدد ١٠، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٤.تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تح. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط أولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
١٥.التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ثانية، ١٩٨٦م.
١٦.تهذيب اللغة، الأزهري، تح: مجموعة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٧.ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي، وللسجستاني ولابن السكيت، نشرها:د. أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت ١٩١٧م.
١٨.جمهرة اللغة، لابن دريد، تح. د. رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط أولى ١٩٨٧
١٩.الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة، د. أحمد عارف حجازي، مكتبة الآداب، ط أولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٢٠.الخيل، للأصمعي، تح: حاتم الضامن، دار البشائر- دمشق، ٢٠٠٣م.
٢١.دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي، ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٢٢.ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٣.ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق، د. محمد التونجي، دار صادر- بيروت، ط أولى، ١٩٩٨م.
٢٤.ديوان ابن الدمينة، صنعه: أبو العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تح. أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.
٢٥.ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط أولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٦.ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٧.ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمع وتحقيق: د. محمد شفيق البيطار، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، السلسلة التراثية (٢٣)، ط أولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
٢٨.ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٢٩.ديوان رؤبة بن العجاج، ضمن مجموع أشعار العرب، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة- الكويت، د.ت.
٣٠.ديوان سويد بن أبي كاهل، جمع وتحقيق: شاكر العاشور، ط أولى ١٩٧٢م.
٣١.ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب رقم: (٤٢)، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
٣٢.ديوان الطرماح، تح. د. عزة حسن، دار الشرق العربي- بيروت، ط ثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٣٣.ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح، د. محمد يوسف نجم، دار صادر- بيروت، د.ت.
٣٤.ديوان كعب بن زهير، تح. علي فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٥.ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر- بيروت، ط أولى، ٢٠٠٠م.
٣٦.ديوان لقيط بن يعمر، تح. د. عبد المعيد خان، دار الأمانة- مؤسسة الرسالة، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
٣٧.ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ثالثة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٣٨.ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.
٣٩.رسالة في الألوان، للعلامة محمود شكري الألوسي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ١، ج ٣، جمادى الآخرة ١٣٣٩- آذار سنة ١٩٢١م
٤٠.شرح ديوان الخنساء، شرح: أبو العباس ثعلب، تح. د.أنور أبو سويلم، دار عمار، ط أولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
٤١.شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد الطراد، دار الكتاب العربي- بيروت، ط أولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٤٢.شرح المفصل، لابن يعيش، ط إدارة الطباعة المنيرية- مصر، د.ت.
٤٣.شعر زياد الأعجم، جمع وتحقيق ودراسة، د. يوسف حسين بكار، دار المسيرة، ط أولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٤٤.عبقرية التأليف العربي: علاقات النصوص والاتصال العلمي، د. كمال نبهان، ط مجلة الوعي الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
٤٥.علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط خامسة ١٩٩٨م.

٤٦.علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار هلال، ط رابعة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٤٧.الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تح: د. محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط ثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٤٨.الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: عماد زكي البارون، المكتبة التوفيقية ١٤١٩هـ.
٤٩.فقه اللغة وأسرار العربية، للثعالبي، شرحه وقدم له: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية- بيروت، ط ثانية ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
٥٠.الفهرست، للنديم، تح. رضا- تجدد، طبعة خاصة.
٥١.قاموس الألوان عند العرب، د. عبد الحميد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م
٥٢.القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط ثامنة.
٥٣.الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
٥٤.كتاب الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، تح. عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١
٥٥.كتاب الإبل، للأصمعي، تح: د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ٢٠٠٣م.
٥٦.كتاب الأضداد، لقطرب، تح. د. حنا حداد، دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م
٥٧.كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

٥٨.كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ضبطه وكتب هوامشه: د. أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٥٩.كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، لابن الأجدابي الطرابلسي، مكتبة المحمودية، مصححة على النسخة المطبوعة سنة ١٢٨٧هـ في مطبعة وادي النيل.
٦٠.اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، مكتبة المثنى- بغداد، دون بيان للطبعة أو تاريخها.
٦١.لسان العرب، لابن منظور، ط دار صادر- بيروت، ط ثانية، دون تاريخ.
٦٢.لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، د. ضاحي عبد الباقي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م
٦٣.اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط ثانية ١٩٩٧م
٦٤.اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م
٦٥.متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، للشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م
٦٦.مجمل اللغة، ابن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٦٧.المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، تح. محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط أولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٦٨.المخصص، ابن سيده، قدم له: د. خليل جفال، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦٩.المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م

٧٠.معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، تح. د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط أولى ١٩٩٣م.

٧١.معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م

٧٢.المعجم والدلالة نظرة في طرق شرح المعنى، د. أحمد مختار عمر، بحث منشور بمجلة المعجمية- تونس، العدد ١٢، ١٣ سنة ١٩٩٧م.

٧٣.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط مكتبة الشروق الدولية، رابعة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م

٧٤.المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، تح. مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.

٧٥.مقاييس اللغة، لابن فارس، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٧٦.المُلَمَّع، للنمري، تح. وجيهة أحمد السطل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٧٧.المنهاج في بيان العشر والخراج، لعبد الله بن أحمد الربتكي (٥١٠٦٠) تح. جاسم عبد شلال النعيمي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ٢٠١٢م

٧٨.نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات ابن الأنباري، تح. د.إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، ط ثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٩.يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي، تح. د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.